أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى

الثعلب

مكتبة النافذة

جريمة حب

كانت الحجرة واسعة نظيفة تفوح منها رائحة العقاقير والمطهرات الطبية، وينبثق منها شعاع من ضوء النهار من ثنايا الستار المعدنى على نافذتها الكبيرة. كانت الحجرة خالية من الأثاث، ولم يكن بها سوى جهاز كهربائى من الحجم المتوسط تظهر به أقراص وأزرار ومصابيح حمراء وبيضاء إلى جانب إحدى الموائد التى يدفعها الممرض بواسطة عجلاتها الصغيرة.

يوجد بداخل الغرفة أيضاً ثلاثة دواليب معدنية مخصصة للآلات الجراحية والعقاقير الطبية والأدوية وبجوارها سرير من المعدن صغير يتخفى وراء ستار حاجب للرؤية.

* * * * *

قبل أن تدق الساعة الرابعة كان الهدوء يخيم على الغرفة البيضاء الهادئة وما أن أعلنت دقاتها الرابعة حتى دب النشاط فى أوصالها كما هو متبع ومعتاد.

أقبل الخدم العاملون فى المستشفى يحملون أحد المكاتب

وعدداً من المقاعد، ووضعوها فى الحجرة ثم تبعهم شاب أشقر اللون يرتدى معطفا أبيض، وقد بدأ يلعب فى أقراص وأزرار الجهاز الكهربائى وبجواره ممرضة طويلة ممشوقة القوام ذات جمال يسحر الألباب ويزيغ الأبصار لفرط دلالها وسحرها وجاذبيتها وأنوثتها، كانت تصرفاتها وحركاتها تؤكد للرائى إنها ذات كفاءة وبراعة وثقة واعتزاز بالنفس.

قامت تلك الممرضة الفاتنة بفتح باب الدولاب، وسحبت منه بعض الأدوات ثم انهمكت فى تطهير وتعقيم الأدوات والآلات الجراحية.

وفى تلك الأثناء رن جرس الهاتف، فأسرعت الممرضة الحسناء ناحية الهاتف غير إن باب الغرفة قد دلف منه أحد الرجال والبالغ من العمر بضعًا وأربعين عامًا.. . وبدت نظراته تشع ذكاءً وحزمًا ورباطة جأش.

والتفت ناحية الممرضة قائلاً:

- اتركى التليفون من فضلك يا مس بوند.

وأخذ منها السماعة وصاح بصوت مسموع:

- ألو..

- ألو.. أنا المفتش جراى.

- وأنا الدكتور جنز برج.

- أهلاً بك يا دكتور.

- أهلاً أنت فى الانتظار بالغرفة رقم ٤١.

- حسنًا إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

ووضع السماعة واستدار ناحية الشاب الذى كان منهمكًا فى العبث بأقراص الجهاز الكهربائى ثم سأله:

- هل الأمور على ما يرام يا لانسن أم ماذا؟

- اطمئن يا دكتور كل شئ تمام وعلى ما يرام.

- إذن أنت على ثقة إن الجهاز سوف يعمل بكفاءة أم إن خللاً ما ربما يتعرض له فى هذا الوقت الخطير؟

- لا عليك.. إننى واثق إن الجهاز فى كامل لياقته، وقد أجريت عليه عدة تجارب للتأكد من كفاءته وهذا هو مبعث اطمئنانى.

- حسنا ما أروعك يا لانسن.

والتفت الدكتور جنز برج ناحية المكتب والمقاعد ثم هتف قائلاً:

- أوه.. لا ينبغى أن تبقى المقاعد والمكتب بهذه الصورة يا مس بوند.

- نعم يا دكتور إننى أسمعك.

- أرجوك ضعى هذا المقعد المجاور للجدار فى هذا الركن.

وعلى الفور أسرعت الممرضة لتنفيذ توجيهات الدكتور جنز برج دون تردد أو إبطاء.

كانت الممرضة تبدو مطيعة وصاغرة لتوجيهات وتعليمات الطبيب وتنفذ أوامره بدقة متناهية.

وقبل انصراف الدكتور جنز برج ألقى ببصره على أرجاء الغرفة، وشرعت مس بوند فى مباشرة عملها مرة أخرى إلا إنها توقفت أمام الجهاز الكهربائى وتأملته بنظرات فاحصة ودقيقة وراحت تسأل:

- أخبرنى بربك ماذا يعني هذا الجهاز؟

فأجاب لانسن:

- إنه جهاز كهربائى جديد.

فقالت فى تهكم وسخرية:

- أوه ما أكثر تلك الأجهزة وما أقل جدواها لنا.

فأجاب لانسن:

- يؤسفنى إنكم أيها الناس لا تقدرون أهمية العلوم الحديثة والتطورات الرهيبة التى تشهدها الدنيا من حولنا.

وهمت الممرضة فى الرد على لانسن لكنها توقفت حيث عاد الدكتور جنز برج مرة أخرى بصحبة المفتش جراى.

* * * * *

ظهر المفتش جراى متوسط القامة، ويبلغ الخامسة والثلاثين من العمر، وتشع من عينيه نظرات رجل شديد الصرامة.

وإن بدا لناظريه رجلاً طيبًا دمث الأخلاق.

نظر المفتش إلى الشاب لانسن والفاتنة مس بوند، وقد قام بمصافحتهما والإبتسامة تشرق على وجهها الجميل ثم راح يقول:

- أهذا هو الجهاز يا دكتور؟

فأجاب الدكتور جنز برج قائلاً فى حماس:

- نعم.. ولقد قمت بإجراء العديد من التجارب عليه وتأكد لى صلاحيته وكفاءته.

وتدخل لانسن قائلاً:

- إنه يعمل بدقة شديدة.. وهو يرصد ويسجل كل حركة وهفوة مهما كان حجمها بل وشكلها.

- أشكرك يا لانسن. . أظن إننى سأستدعيك إذا اقتضت الضرورة لذلك.

وغادر لانسن الحجرة والتفت الطبيب إلى الممرضة قائلاً:

- هل انتهت مس كارترايت من تجهيز المريضة؟

- نعم يا دكتور أعتقد أنها انتهت من مهمتها.

وعاد الدكتور ينظر إلى المفتش قائلاً:

- إن مس بوند سوف تبقى معنا هنا لمساعدتنا فى إجراء التجربة.

فاستدار المفتش ناحية الممرضة الجميلة وقال وهو يبتسم:

- شكراً يا آنسة.

فقالت وابتسامتها قد زادت من جمالها:

- لا تشكرنى على واجب يا سيدى المفتش. . . سوف أبذل ما فى وسعى ولو كنت أعرف أن مسز نجفيلد كانت فى حالة نفسية سيئة لبقيت بجوارها.

فقال الطبيب:

- أعتقد أن أحداً لا يستطيع توجيه اللوم إليك يا مس بوند.

ثم راح ينظر الى المفتش متسائلاً:

- هل حضر الآخرون أيها المفتش؟

- نعم إنهم ينتظرون فى قاعة الاستقبال.

- جميعهم أم بعضهم؟

- جميعهم حيث هناك بريان ونجفيلد وإيملين روس وشقيقها ويليام ومس برندا جاكسون ثم إن رجالى يقومون بحراستهم ومحاصرتهم لمنعهم من المغادرة.

فقال الطبيب فى حزم:

- ينبغى أن تعرف يا عزيزى المفتس أننى أهتم بسلامة مريضتى فى المكان الأول دون أن أعبأ بأية اعتبارات أخرى، فإذا لاحظت أية بادرة تشير إلى الانفعال أو الانهيار فسوف أوقف التجربة على الفور.

ثم استدار ناحية الممرضة مس بوند وهو يقول:

- أتسمعين يا مس بوند؟

- أسمعك جيداً يا دكتور.

فعقب المفتش جراى قائلاً:

- وهذا هو ما أريده منك تماماً يا دكتور.

واستطرد جراى يقول:

هل تعتقد أن سلامة المريضة فى خطر يا دكتور؟

فأجاب الطبيب بعد أن استوى جالساً على أحد المقاعد.

- إذا ساورنى قليل من الشك حول خطورة التجربة على سلامتها وحياتها لرفضت إجرائها.. إنها تعانى من مرض نفسى أكثر منه عضوى وحرارتها الآن باتت طبيعية ونبضها وضغطها أيضاً.

ونظر الدكتور إلى الممرضة وقال:

- قاعة الاستقبال اذهبى إليها وأحضرى هؤلاء إلى هنا وإذا ألقى عليك أحدهم أى سؤال أجيبى عليه بعبارات غامضة جوفاء من أى معنى.

- وأظن أنك تعرفين أفراد تلك الأسرة يا مس بوند أليس كذلك؟

- نعم يا دكتور أعرفهم.

وغادرت الممرضة الغرفة بينما جلس المفتش جراى على أحد المقاعد، ثم قال موجهاً حديثه للدكتور جنز برج:

- أتمنى التوفيق والنجاح فى مهمتنا.. هل سمحت لأحدهم بالتحدث إلى المريضة أم إنك رفضت ذلك؟

- لقد وافقت لزوجها وأخيها وأختها، وقد استغرقت المقابلة دقائق قليلة للغاية، وقد تمت جميعها فى وجود مسز كارترايت الممرضة المرافقة للمريضة.

واعتدل الدكتور جنز برج فى مقعده ثم أردف يقول:

- لفت انتباهى إن مس برندا جاكسون هى الوحيدة التى لم تطلب مقابلتها أو التحدث إليها.

فقال المفتش جراى:

- على أية حال عليك أن تتحدث إليهم بأسلوب علمى ومنطقى لإجراء تلك التجربة وعرض الصورة أمامهم.

- نعم وهذا هو ما أنوى أن أفعله.

وخيم على الغرفة صمت طويل حتى صاح الدكتور قائلاً:

- أخبرونى أن مسز ونجفيلد قد سقطت من الطابق الثانى.

- نعم حدث ذلك بالفعل.

- الغريب أنها بقيت على قيد الحياة، وقد أصيبت بارتجاج فى المخ وكسر فى ساقها اليسرى.

وقبل أن يستطرد المفتش أقبلت مس بوند وهى تدعو بريان ونجفيلد زوج المريضة للدخول وفى أعقابه شقيقها ويليام روس وإيميلين روس شقيقتها.

* * * * *

كان بريان وسيماً جميلاً هادئاً ذا وجه حاد الملامح يبدو

فى العقد الرابع من العمر، أما ويليام روس فقد ظهر فى مثل سن بريان وإن كان أقصر منه قامة وأكثر إهمالاً فى مظهره وملبسه.

ولكن إيميلين روس فقد كانت فى الأربعين من العمر، وهى طويلة ونحيفة لها عيون تشبه عيون الصقر تطل من وجه صارم، ورحب الدكتور جنز برج بجميع أفراد الأسرة وقد احتفى بهم ثم ابتسم لايميلين روس.

وقال وينجفيلد:

- ماذا حدث يادكتور؟ لقد بلغنى أنك تريد مقابلتى فهل هناك أنباء سيئة بخصوص صحة زوجتى؟

- كلا كلا يا مستر وينجفيلد، لا توجد لدينا أية أخبار تزعجك.

- الحمد لله لقد ظننت إن هناك ما سيثير أعصابى.

- اطمئن إن الأمور تسير على ما يرام وإن كنت لا أزعم أنها تسير إلى الأفضل لكنها ثابتة على أية حال.

فقالت إيميلين:

- هل مازالت شقيقتى فى غيبوبة حتى الآن؟

- لا تنسى أنها أصيبت بحالة من الشلل التام وبالتالى فهى لا تقدر على الحركة أو الكلام.

صاحت إيملين فى أسى وقالت:

- أوه ما أبشع ذلك.

التفت المفتش جراى ناحية مستر وينجفيلد وسأله:

- ألم تحضر مس برندا جاكسون معكم؟

- لقد كانت فى صحبتنا فى قاعة الاستقبال.

أثناء ذلك دخلت الغرفة فتاة طويلة القامة فاتنة الجمال فى الخامسة والعشرين من العمر وراح وينجفيلد يقدمها للدكتور جنز برج قائلاً:

- هذه هى مس برندا جاكسون سكرتيرتى.

صافحها الدكتور فى حفاوة وهو يقول:

- مساء الخير يا مس جاكسون.

- أهلا بك يا دكتور.

وأشار مستر وينجفيلد إلى أحد المقاعد لكى تجلس عليه مس برندا وعلى الفور تقدمت ناحية المقعد، وهى تتأمل الغرفة حتى تسمرت عيناها على الجهاز الكهربى فى حين صاح ويليام روس بصوت عال وقال:

- مسكينة جينى!! ما الذى حدث لها؟ إننى أحيانًا أتمنى للأسف أن تموت حتى تهدأ آلامها.

فعلق وينجفيلد فى غضب:

- أوه ماذا دهاك؟ أعوذ بالله.. تمنٍّ كل شئ إلا هذا.

- إننى أقدر مشاعرك وأحزانك ولكنها الآن حية ميتة، أليس هذا صحيحًا يا دكتور؟

فأجاب الطبيب:

- إننا نتعلق بالأمل فى الله لإنقاذها يا مستر روس.

فقالت برندا فى أسى:

- وإلى متى ستظل على هذا الحال المؤسف.. أتمنى أن تتماثل للشفاء بشكل أو بآخر.

فقال الطبيب:

- من الصعب علينا أن نسرف فى التفاؤل يا آنسة.. غاية القول أن إصابتها أوشكت على النهاية.

فقال وينجفيلد:

- ماذا تقصد بكلمة النهاية؟

- أقصد أنها قد تتماثل عما قريب للشفاء.

- إذن لماذا لا تشفى تمامًا وتسترد عافيتها.

فأجاب الطبيب:

- هذا سؤال يتعذر الإجابة عليه.. إن شلل مسز وينجفيلد أصابها نتيجة صدمة.

فقالت إيميلين:

- أتظن بسبب الحادث؟

- الحادث هو السبب الظاهر لنا.

- ماذا تقصد بالسبب الظاهر؟

- أقصد إن مسز وينجفيلد لابد أن ذعراً وهلعًا قد أصابها أثناء سقوطها من الشرفة. وهذا الشلل الكلى إنما قد أصابها بسبب تلك الأحاسيس الفزعة، ولا أظن أنها أصيبت به بسبب الكسور والإصابات التى لحقت بجسدها.

فعقب وينجفيلد:

- تقصد إنها.. إنها كما ألمح المفتش جراى.. إن زوجتى حاولت الانتحار؟ إننى أرفض هذا التفسير تمامًا.

فقال المفتش:

- أنا لم أقل أبدًا أنها حاولت الانتحار.

فقال وينجفيلد:

- أنت بالفعل لم تقل لى ذلك صراحة.. ولكننى أعتقد إن هذا هو ما يدور فى ذهنك.. وللتأكيد على ذلك إنكم يا رجال الشرطة تحاصرونها كالصقور.

فقال المفتش:

- إننا بصدد وضع النقاط على الحروف، وأن نتأكد من حقيقة الأسباب والدوافع التى أدت إلى وقوع الحادث وارتكاب تلك الجريمة.

فصاح ويليام روس:

- يا إلهى.. أوه أليست الدوافع والأسباب جلية واضحة وضوح الشمس العامودية؟ لقد كانت مريضة منذ بضعة شهور.. وقد غادرت فراشها للمرة الأولى فى ذلك اليوم، ثم انتقلت إلى الشرفة لتستنشق الهواء النقى، ولتستمتع بأشعة الشمس الدافئة، واستندت على حافة الشرفة، ثم أصيبت فجأة بدوار ومن شدة وهنها وضعفها سقطت، ومن سوء الطالع أن حاجز الشرفة كان منخفضاً.

فقالت إيميلين تحدث أخاها:

- هدئ من روعك يا ويليام.. لا داعى للانفعال.

التفت إليها قائلاً:

- أوه إن الأمر شديد الوضوح يا (بانى) ولا يستدعى كل هذا التوتر.

ثم تحول إلى جنز برج وهو يقول:

- هل تعتقد إنه من دواعى سرورنا أن يتدخل البوليس فى أدق خصوصيتنا؟

فقال وينجفيلد:

- إذا كان يحق لأى أحد أن يشكو.. فأنا صاحب هذا الحق ولكننى حتى الآن لا أشكو.

فقالت برندا:

- أود أن أعرف ما هى الأسباب التى دفعتكم لاستدعائنا؟

فأجاب المفتش:

- على رسلك يا مس جاكسون.

ثم التفت ناحية إيميلين وقال:

- هل تستطيعين أن تمدينا بالمزيد من المعلومات يا مس روس؟ هل كانت تصيبها نوبات حزن أو قرف؟

- معلوماتى أنها كانت تعيش دائماً فى حالة توتر وانفعال.

فقال ويليام روس وهو يتحرك فى مقعده فى ضيق:

- كلا كلا.. هذا ليس صحيحاً.

فقالت إيميلين وهى تنظر إلى أخيها بنظرات سخط وتذمر:

- إن الرجال لا يلاحظون مثل هذه الأمور وأنا أدرك جيداً ماذا أعنى بهذا القول؟

والتفتت ناحية المفتش وقالت:

- أظن يا سيدى المفتش جراى إن المرض قد أصابها بالضعف والاكتئاب، أضف إلى ذلك أسبابًا عديدة كالقلق والتوتر والملل والسخط.

أثناء ذلك نهضت برندا جاكسون واتجهت ناحية الباب فنادى عليها المفتش جراى فى انفعال واضح:

- إلى أين تذهبين يا مس جاكسون؟

أجابت فى ضيق:

- سأغادر هذا المكان.. أنا لست أحد أفراد هذه الأسرة.. فأنا مجرد سكرتيرة لمستر وينجفيلد كما إنى لا أرى ثمة ضرورة لبقائى هنا.. بل إننى لا أرى فائدة لهذه المحاكمة المنصوبة.. لقد طلبتم حضورى مع هؤلاء فإذا كان الهدف فى ذلك هو تكرار لما سبق.. فأنا أرى إن مغادرتى هى الحل الأمثل.

فقال المفتش جراى:

- كلا.. إن الهدف من الاجتماع أهم من ذلك، فنحن سنقوم يا مس جاكسون بإجراء تجربة.

فتوقفت برندا فى مكانها وصاحت تقول:

- تجربة؟! ماذا تعنى؟

- إن هذا ما سيكشفه لنا الآن الدكتور جنز برج فهلا جلست يا مس جاكسون من فضلك؟

وعادت برندا إلى مقعدها، وقد ساد الصمت المكان حتى قطعه الدكتور جنز برج بعد لحظات من الصمت قائلاً:

- بداية أرى من واجبى أن أستعرض ما لدى من معلومات تتعلق بموضوع مسز وينجفيلد، لقد تعرضت لمرض غامض منذ ثمانية أسابيع حتى إن غموضه قد أثار حيرة طبيبها المعالج وأظنه الدكتور هور شفيلد الذى أخبرنى بذلك، ثم سرعان ما تماثلت للتحسن ودخلت مرحلة النقاهة، وقد مضت فى تلك المرحلة تحت رعاية الممرضة مس بوند ومنذ عشرة أيام وبالتحديد فى يوم وقوع الحادث هجرت مسز وينجفيلد فراشها عقب تناولها وجبة الغذاء، وقد أجلستها مس بوند على مقعد وثير بالشرفة كما وضعت بجوارها جهاز راديو صغير وبعض الكتب التى تهوى قراءتها.. لذلك شعرت مس بوند بالاطمئنان وتوجهت للتنزه كعادتها يوميًا.

ومن المتعذر أن نعرف حقيقة ما حدث بعد ذلك.. لكن الأمر المؤكد إنه فى تمام الثالثة والنصف عصرًا دوّت صرخة عالية، ورأت مس إيميلين روس التى كانت تجلس فى غرفة

تقع تحت غرفة المريضة مباشرة.. رأت من نافذتها جسمًا يرتطم بالأرض، ثم تبين إنه جسم مسز وينجفيلد، وإنها قد هوت من غرفة الشرفة التى تقيم فيها فى الواقع لم يكن هناك أحد فى غرفة مس وينجفيلد أثناء سقوطها، ولكن كان في البيت نحو أربعة أشخاص.. وأعنى بهؤلاء الأربعة حضراتكم الموجودون بيننا الآن.

وهنا تحول المفتش ناحية بريان وينجفيلد قائلاً:

- هل تفضلت برواية ما حدث بعد ذلك بأسلوبك الممتع يا مستر وينجفيلد؟

فقال وينجفيلد:

- أعتقد إننى قصصت عليكم هذه الرواية أكثر من مرة.. لقد كنت فى مكتبى أتولى بنفسى تصحيح بروفات كتابى الأخير قبل أن يدور بين أحشاء المطابع كمرحلة نهائية وقد سمعت صيحة وضجة فأسرعت ناحية الحديقة.. ورأيت جين مضرجة فى دمائها وبعد قليل جاءت إيفلين ثم ويليام ثم مس جاكسون وأجرينا اتصالاً هاتفيا بالطبيب ثم... ثم...

قاطعه المفتش قائلاً:

- كفى.. كفاك يا عزيزى.. لا داعى للمضي فى الكلام.

كان مستر وينجفيلد يعتصر ألمًا، وقد تحشرجت الكلمات فى جوفه، وكاد أن يبكى حزنًا وأسفًا على المشهد الدامى.

والتفت المفتش جراى ناحية براندا جاكسون وقال:

- هل يمكنك رواية ما حدث من وجهة نظرك يا مس جاكسون؟

فأجابت السكرتيرة الساحرة الجميلة بقولها:

- أثناء ذلك كنت في المكتبة أبحث عن كلمة في دائرة المعارف البريطانية كان قد كلفنى بالتحقق منها مستر وينجفيلد وفي تلك الأثناء سمعت أصواتًا زاعقة وفوضي وجلبة وأشخاصًا يهرولون فأسرعت أتبين ما حدث ورأيت الجميع في الحديقة يحيطون بمسز وينجفيلد.

فاستدار المفتش جراى إلى حيث يجلس ويليام روس وهو يقول:

- وأنت يا مستر روس.. ما هي روايتك؟

- كنت في ذلك اليوم أمارس كالعادة لعبة الجولف فى يوم السبت، وقد فرغت من تناول وجبة غذاء أصابتنى بعدها بالبلادة والكسل، فتوجهت إلى غرفتى قاصدًا فراشى وألقيت بنفسى عليه، وداهمنى النعاس حتى استسلمت لنوم عميق،

ثم تنبهت من غفوتى على صرخة جين وارتبت فى حقيقة الأمر فقد ظننت فى البداية أننى أغوص فى حلم مزعج حتى ترامت لمسامعى أصوات أناس يصرخون ويستغيثون فنهضت من فراشى ونظرت من النافذة وشاهدت مسز وينجفيلد ممددة على الأرض وجمع غفير من الناس حولها فى ذهول.

قال ذلك وهو يتأمل المفتش جراى فى ضيق وسخط وأردف يقول:

- أوه.. هل من الأهمية أن نظل بين الحين والآخر نتذكر هذا المشهد المأساوى؟

فأجاب المفتش:

- إننى أهدف بذلك إلى توضيح مسألة شديدة الأهمية.. وهى إن أحداً ممن كان فى المنزل لا يستطيع أن يخبرنا بحقيقة ما حدث فى الأمر.. لا أحد سوى مسز وينجفيلد.

فقال روس:

-إن الأمر بسيط للغاية.. لقد أعتقدت جين أنها أقوى مما هى عليه فأطلت من الشرفة وأصيبت بدور مفاجئ فسقطت على أثره.

وأردف يقول وهو يمسح نظارته:

- إن هذا الاحتمال من الممكن أن يتعرض له أى شخص.

فعقب مستر وينجفيلد:

- أوه ما أغبانا.. كان ينبغى ألا نتركها بمفردها.. إننى ألوم نفسى كثيراً على هذا التصرف الأحمق.

فقالت إيميلين:

- كان واجباً أن تستريح فى مخدعها عقب الغذاء طبقاً لتوجيهات الطبيب، وقد كنا ننتوى أن نشاركها احتساء أقداح الشاى فى الساعة الرابعة والنصف لكى نتجاذب معها أطراف الحديث ونخفف عنها آلامها.

فقال المفتش:

- إن من العسير تفسير غموض الحادث يا مس روس حيث إن حاجز الشرفة قوى ومتين ولم يتأثر بثقل وزنها.

فهتف ويليام روس قائلاً:

- الشرفة لم تتأثر بالفعل.. لقد فقدت توازنها ثم سقطت وأنا قمت باختبار الحاجز، وقد انحنيت من فوقه، واكتشفت إن من السهل جداً أن أفقد توازنى.

فقال المفتش جراى:

- إن مسز ونجفيلد تتصف بقامة قصيرة، ومن الصعب أن

تفقد توازنها وتسقط من فوق الحاجز حتى ولو تعرضت لدوار مباغت.

فعلقت إيميلين:

- أشاطرك الرأى يا سيدى المفتش فيما توقعته حيث إن جين بالفعل كانت تشكو من أزمة عاطفية وخلل عقلى وفى لحظة ما.....

صاح مستر وينجفيلد قائلاً فى غضب وإنفعال:

- كفاك تلميحاً إلى مسألة الانتحار.. إننى لا أصدق هذا الزعم الظالم إطلاقاً.. كلا كلا.. هذا مستحيل.

فقالت إيميلين:

- أظن إن هناك العديد من الأسباب التى تدفعها للانتحار.

- ماذا تقصدين؟

- أنت تعرف ماذا أقصد؟ إننى لست غبية يا بريان.

- كلا.. إن جين لم تكن كما تزعمين ثم ما الذى سيدفعها للانتحار.. إنك تسرفين فى سوء الظن بها وما يجول فى خاطرك لا أساس له من الصحة.

فصاح روس:

- دع أختى وشأنها يا مستر بريان.

نهضت برندا جاكسون من مقعدها وهى تقول وعيناها على إيميلين:

- إن الحادث قد وقع قضاء وقدر.. هذا أمر لا ريب فيه ولكن مس روس تبذل ما فى وسعها لكى.. لكى..

قاطعتها إيميلين فى حدة وقالت:

- ماذا تعنين؟ تكلمى.. ليتك تخبرينى الآن؟

- أنت من نوع يبحث دائماً عن إثارة الفتنة والوقيعه بين الناس فهذا النوع يعانى من عدم اهتمام الرجال بهن.

ثارت إيميلين وقالت فى عنف.

-كيف تسمحين لنفسك أن..

قاطعها روس قائلاً:

- كفا كفا.. ألا يكفيكما ما نعانيه فى تلك الظروف؟

فقال وينجفيلد:

- أوه لقد انهمكنا فى أمور تافهه بعيدة عن موضوعنا الأساسى إننا يا سادة نعانى من القلق والتوتر والإنفعال. ولدينا مهام شاقة فنحن بصدد معرفة الحالة النفسية التى كانت عليها جين يوم الحادث. وبما إننى زوجها الذى يعرفها معرفة

دقيقة أستطيع أن أقسم لكم أنها لم تكن تفكر إطلاقاً فى الانتحار أوشىء من هذا.

فقالت إيبلين:

- أنت تزعم ذلك لكى لا تتحمل وزر أعمالك ومسؤليتك عن دفعها للانتحار.

- وزر أعمالى؟ ومسؤليتى؟ أوه . . ماذا تقصدين؟

- أقصد أنك مسؤل عن قيامها بتلك المحاولة اليائسة.

صاحت برندا جاكسون:

- كلا . . هذا ليس صحيحاً.

وصاح وينجفيلد فى أثناء ذلك قائلاً:

- كيف تجسرين على هذا الزعم؟

وقال روس:

- ما معنى هذا الادعاء؟

فنهض الدكتور وصاح فى وجوههم:

- كفاكم عبثاً . . إننى لم استدعكم للحضور إلى هنا لتبادل الاتهامات . . لقد طلبت منكم ضرورة التواجد هنا من أجل مشاهدة تجربة سنقوم بها الآن.

فقالت برندا:

- لقد أخبرتنا بذلك من قبل لكنك لم تبين لنا ماذا تعنى؟

فأجاب الطبيب:

- لقد أكد المفتش جراى منذ قليل إن شخصاً ما هو الذى يعرف ما جرى فى ذلك اليوم . . وإن هذا الشخص هو بالطبع مسز وينجفيلد.

فعقب وينجفيلد قائلاً:

- للأسف ومع ذلك فهى لا تستطيع الكلام.

فقالت إيبلين:

- حين تتماثل للشفاء فسوف تدلى أمامنا بدلوها وساعتها سوف يكون لكل حادث حديث.

فقال الطبيب:

- أنت تجهلين حالتها الطبية يا مس روس فربما تقضى سنوات وتظل على حالها لا تفيق من غيبوبتها.

فقال وينجفيلد فى ضيق:

- هل أنت متأكد يا دكتور؟

- نعم يا مستر وينجفيلد . . إننى لا أود إقحامكم فى تفاصيل طبية دقيقة، ولكننى أستطيع أن أؤكد لكم إن هناك البعض ممن تعرضوا للإصابة بالعمى نتيجة صدمة من هذا

النوع، وقد تماثلوا للشفاء بعد مرور خمسة عشر عامًا، وربما أكثر من ذلك. . وهناك من تعرضوا للإصابة بالشلل لفترة مماثلة وإن كانت هناك أحيانًا صدمات تدفع المريض للشفاء، ولكن على أية حال لا توجد قواعد وأسس ثابته لكل هذه الاحتمالات.

ثم التفت إلى المفتش وقال:

- أرجوك اضغط علي الجرس أيها المفتش:

فضغط المفتش على الزر فقال وينجفيلد:

- إننى لا أعرف ماذا تريد بالضبط يا دكتور؟

فقال المفتش:

ستعرف بعد قليل يا مستر وينجفيلد.

واتجه الطبيب مسرعًا إلى النافذة وأرخى الستار المعدنى، ثم أضاء النور وفتح الباب فدخل لانسن وفى أعقابه الممرضة الحسناء وهى تدفع أمامها مائدة تمددت المريضة فوقها.

وكانت المريضة مغطاة ولم يظهر منها سوى العينين والأنف بينما كان رأسها معصوباً بقماش طبى أبيض اللون أما عيناها فكانتا مفتوحتين ولا تتحركان.

ووقفت الممرضة عند رأس المريضة فى حين اتجه لانسن

إلى ناحية الجهاز الكهربائى. . فدفعه أمامه حتى اقترب من المائدة التى ترقد عليها المريضة المسكينه.

تسمر الجميع فى أماكنهم، وتشخصت أبصارهم صوب المريضة التى كانت تبدو أمامهم جثة هامدة وكأنها فارقت الحياة.

* * * * *

(٢)

خيم السكون الرهيب على أرجاء الغرفـة وسرعان ما تقدم مستر وينجفيلد صوب رأس المريضة في خطى بطيئة، وهمس بصوت متحشرج، وقال في شوق ولهفة:

- جين.. يا حبيبة القلب.

أما إيميلـين فقد أسـرعت صوب أختها المريـضة، وألقت عليها نظراتها دون أن تنطق بكلمة واحدة.

وبينما صاحت برندا تقول:

- ماذا تريدون أن تفعلوا بالضبط؟

فقال الدكتور جنز برج موجهاً حديثه إلى الجميع:

- إن المريضة كما أخبرتكم.. في حالة شلل تام ولا تقدر على الحـركة أو الكلام، ولكننا مـتفـقون جـميعًا علـى إنها الوحيدة التى تعرف حقيقة ما جرى فى ذلك اليوم.

فعلقت برندا وقالت:

- أوه لكنها فـاقدة للوعى.. وأنت أخبرتنا إنهـا قد تظل هكذا أعوامًا وأعوامًا أليس كذلك؟

- أنا لم أقل إنهـا فى غيـبوبة كـاملة.. صحـيح هى لا

نستطيع الكلام أو الحركة لكنها تقدر على الرؤية والسمع وربما ظل عقلها فى كامل قواه ونشاطه. فهى قد تعرف ما حدث وتريد أن تقصه علينا ولكنها للأسف لا تستطيع ذلك.

فقال مستر وينجفيلد:

- أتظن أنها تسمع ما نقول وتفهم كلامنا؟

- نعم.

فدنا وينجفيلد من المريضة وهو يقول:

- جين.. جين .. هل تسمعين أيتها الحبيبة؟ أعرف أنك عانيت كثيراً وعشت فترة بائسة.. ولكنى أعدك إن الأمور سوف تسير كما تريدين.

وهنا صاح الطبيب:

- لانسن هل أنت على استعداد؟

- نعم يا دكتور.

فقال الدكتور:

- أخبرتكم أن مسز وينجفيلد لا تستطيع أن تتحدث معنا لكن هناك وسيلة يمكنها من خلالها أن تتفاهم معنا.. إن الدكتور سالز برجر الأخصائى فى هذا النوع من الشلل وهو بالمناسبة أشرف على علاجها فى الأسبوع الأخير قد لاحظ أن

سبابة يدها اليمنى تصدر منها حركة خفيفة للغاية لا تلاحظها العين المجردة، واستناداً على هذه الملاحظة الذكية ابتكر مستر لانسن هذا الجهاز الكهربى، وقد أمده بأنبوبة صغيرة من المطاط الرقيق بحيث إذا تعرضت تلك الأنبوبة لأى ضغط مهما كان طفيفاً أضاء مصباحاً أحمر فى هذا الجهاز.

ثم استدار ناحية لانسن قائلاً:

- هيا بمقدورك أن تبدأ عملك يا لانسن، وأنتِ يا مس بوند يمكنك رفع الغطاء عن يد المريضة اليمنى.

فأسرعت الممرضة، وقام لانسن بوضع الأنبوبة ببطء تحت أصبع المريضة. فقال الطبيب:

- والآن سوف ألقى بعض الأسئلة على مسز وينجفيلد.

فصاح روس:

- تلقى عليها بعض الأسئلة؟ ماذا تقصد؟ ثم عن أى شئ سوف تسألها؟

- سوف أسألها عما حدث بعد ظهر يوم الحادث.

فنظر روس ناحية المفتش جراى وقال:

- أهذه من بنات أفكارك؟

فقال الدكتور:

- كلا كلا.. إنها فكرة ابتكرها مستر لانسن.

فصاح وينجفيلد قائلاً:

- ولكن كيف يمكنكم الاستناد على حركة أصبع ربما كانت نتيجة تشنج عصبى أو عضلى؟

- سنرى فى التو هل تستطيع المريضة الإجابة على الأسئلة أو لا تقدر على ذلك؟

- إننى لا أوافق على هذه التجربة التى قد تعرض حياة جين للخطر وربما تؤخر شفاءها.

فصاحت برندا تقول فى غضب:

- بريان..

وحاولت الاقتراب منه إلا إنها لاحظت أن عيون المفتش جراى ترصدها بدقة شديدة فعادت تجلس إلى أحد المقاعد.

وقال الدكتور جنتز برج:

- أنتِ تعرفين بالطبع ما ينبغى عمله إذا بدت أعراض الانهيار على المريضة.

فاقتربت مس بوند من المريضة، وأمسكت بمعصمها لتجس نبضاتها.

وانحنى الدكتور جنتز برج فوق المريضة وقال:

- اسمعينى يا مسز وينجفيلد.. لقد نجوت بمعجزة من الحادث وأنت فى طريقك للشفاء.. لقد أندملت جروحك. والتأمت عظامك.. لكنك فى حالة شلل ولا يمكنك الحركة أو الكلام وما أريده منك هو إذا أنت فهمت ما أقوله لك.. فما عليك سوى أن تحركى إصبعك بحيث يضغط الأنبوبة.. فهل ستفعلين ذلك يا مسز وينجفيلد؟

مرت ثوان كأنها دهر، وحركت المريضة إصبعها ببطء شديد.. حركة من الصعب ملاحظتها.. ولكنها كانت كافية لإضاءة الضوء الأحمر.

وصاح أحد الأشخاص بصرخة مسموعة، واقترب المفتش خطوة إلى الأمام.. من أجل مراقبة ورصد ملامح وجوه الحاضرين.

أما لانسن فقد انفرجت أساريره.. وبدا كأنه أحرز نصراً ساحقًا.

فقال جنتز برج:

- هل سمعت وفهمت ما دار بيننا من حديث؟

فعاد المصباح يضئ لونه الأحمر مرة أخرى.

فقال الطبيب:

- هذا عظيم.. والآن اسمعينى جيداً.. سأقترح عليك فكرة، وهى إذا أنتِ رغبت فى الإجابة على أى سؤال (بنعم) فحركى أصبعك مرة واحدة، وإذا أردت بكلمة (لا) حركيه مرتين هل تسمعينى جيداً؟

فأضاء المصباح الأحمر مرة واحدة.

فقال الطبيب:

- والآن كيف تجيبين على كلمة (لا)؟

فأضاء المصباح الأحمر مرتين.

فالتفت الدكتور ناحية الحاضرين وقال:

- أظن أنكم تأكدتم أن مسز وينجفيلد تستطيع أن تفهم ما نقول.

وعاد يسأل المريضة قائلاً:

- إذا عدت بك إلى عصر يوم السبت الرابع عشر من هذا الشهر فهل تتذكرين جيداً ما حدث فى ذلك اليوم؟

فأضاء المصباح الأحمر مرة واحدة.

فقال الدكتور: سأحاول ألا أرهقك بأسئلتى أعرف أنك تناولت طعام الغذاء فى ذلك اليوم ثم غادرت الفراش، وإن ممرضتك مس بوند أجلستك على مقعد فى الشرفة فى حين

كان يجب أن تخلدى للراحة حتى الساعة الرابعة والنصف كما أرشدك الطبيب المعالج فهل هذا صحيح؟

- فأضاء المصباح مرة واحدة.

فقال الطبيب: هل أصابتك غفوة أثناء جلوسك فى الشرفة؟

فأضاء النور الأحمر مرة واحدة.

- ثم استيقظتِ؟

فأضاء النور مرة واحدة.

- هل انحنيت فوق حاجز الشرفة؟

نور أحمر.

- ثم سقطت؟

نور أحمر.

- هل فقدت توازنك؟

- فأضاء النور الأحمر مرتين وبدت الدهشة علي وجوه الحاضرين.

فقال الطبيب:

- هل أصابك دوار؟

أضاء النور مرتين.

وكاد وينجفيلد أن يتكلم إلا إن المفتش جراى منعه.

فعاد الطبيب يسألها:

- لقد وصلنا إلى نقطة خطيرة ينبغى أن ترويها لنا.

سوف أذكر لك بالحروف الأبجدية من الألف وحتي الياء فإذا وصلت إلى حرف من الكلمة التى تريدينها فحركى أصبعك حركة واحدة.

سوف أبدأ للمحاولة الآن.

- ألف.

ما كاد الطبيب ينطق بهذا الحرف حتى حركت المريضة إصابعها فأضئ النور الأحمر.

فقال الطبيب: أنتِ تريدين أن أذكر أمامك كلمة تبدأ بحرف الألف.. سأحاول الآن ان أذكر أمامك كلمة تبدأ به فهل توافقينى على كلمة (ألف)؟

فأضاء النور الأحمر.

وكان رد الفعل جليًا لا يحتاج إلى تفسير حيث وضعت برندا جاكسون وجهها بين كفيها بينما زاغت عيون روس وشعرت إيميلين بالدهشة حتى إنها تسمرت فى مكانها.

وقال الطبيب موجهًا كلامه إلى المريضة.

- هل تريدين أن تخبرينا أن أحدهم ألقي بك من الشرفة؟

وخيم الصمت على الغرفة وتعلقت الأنظار على الجهاز حتي أضاء النور الأحمر.

فصاحت برندا:

- أوه إن هذا مستحيل.

وصرخ وينجفيلد:

- إن هذا غير معقول.

وعلق روس:

- أهذا ممكن؟

فقال الطبيب:

- أيها السادة الزموا الصمت.. إننى لا أريد أن تصاب مريضتنا بالاضطراب والانفعال.

ثم اتجه ناحية المريضة قائلاً:

- مسز وينجفيلد.. هل تريدين أن تخبرينا إن ما حدث لك لم يكن قضاء وقدر إنما كان بفعل أحدهم وقد أراد قتلك؟

فأضاء النور الأحمر على الفور.

فصاح وينجفيلد:

- إن هذا مستحيل.

وقالت برندا:

- غير صحيح.. إنها لا تفهم شيئًا مما نقول.

وقالت إيبلين:

- هذا سخف.. هذا سخف.

وقال روس:

كيف أراد أحدهم قتلها بينما كانت فى الغرفة بمفردها؟

فقال الطبيب:

- أوه.. هلا توقفتم عن الكلام يا سادة.

فقالت إيبلين:

- إنها فى غير وعيها ولا تدرك معنى ما تقول.

فقال المفتش:

- لا أعتقد ذلك يا سادة.

* * * * *

(٣)

بعد كلمات المفتش القاطعة لاذ الجميع بالصمت من فرط الدهشة والعجب الذى احتواهم، وكأن الطير وقف على رؤوسهم، وقد لاحقت عيونهم الدكتور لمراقبة ما سيقوم به فى الخطوة القادمة.

أخرج الدكتور جنز برج منديلاً من جيبه لتجفيف عرقه وقال للمريضة:

- أخبرينى يا مسز وينجفيلد.. هل حضر أحدهم من الخارج متخفيًا فى غرفتك وألقى بك من الشرفة؟

فأضاء النور الأحمر مرتين.

فقال الطبيب: إذن هل هذا الشخص هو أحد أفراد البيت؟

فأضاء النور مرة واحدة.

فغمغم مستر وينجفيلد وهو يقول فى دهشة:

- يا إلهى!!

وهنا أضاء النور الأحمر مرات عديدة فصاحت الممرضة تقول:

- أوه لقد تضاعف النبض وزاد يا دكتور.

فقال المفتش وهو يقترب من الطبيب:

- أما من ثوان فقط.. أريد فقط أن أعرف من هو الشخص الذى ألقى بها من الشرفة.

فقال الطبيب مخاطبًا المريضة:

مسز ونجفيلد.. هل تعرفين اسم هذا الذى ألقى بك من الشرفة محاولاً التخلص منك؟

- فأضاء النور مرة واحدة.

فقال الطبيب: دعينا نبحث معًا عن صاحب هذا الاسم.

سأذكر أمامك الحروف الأبجدية.

ألف.. باء.

وهنا عاد النور الأحمر للإضاءة مرة واحدة.

وقال الطبيب: هذا عظيم.. إن اسم الشخص يبدأ بحرف الباء لنبحث عن الحرف الثانى من الاسم.

وهنا أضاء النور الأحمر عدة مرات فصاحت الممرضة تقول فى جزع:

- لقد أغمى عليها يا دكتور.

فقال الطبيب: ينبغى أن نتوقف الآن.. إن فى الاستمرار خطرًا محدقًا على حياة مسز وينجفيلد.

والتفت ناحية لانسن وقال:

- أشكرك يا لانسن.. لقد نجحت نجاحًا باهرًا.

فدنا لانسن من المريضة ورفع الأنبوبة من تحت إصبعها ثم حرك الجهاز مرة أخرى إلى مكانه الأول بجوار حائط الغرفة ثم انصرف منها على عجل.

أما الممرضة الحسناء فقد زودت المريضة بحقنة كان الدكتور جنز برج قد ملأها من زجاجة صغيرة، ثم قام بقياس نبضها وقد سأله وينجفيلد:

- هل هى بخير يا دكتور؟

- لقد تعرضت للانفعال والتوتر، ولهذا كان يجب علينا أن نتوقف عن ذلك حفاظًا على حياتها، ولكن بمقدورنا أن نعود لممارسة التجربة مرة أخرى بعد نصف ساعة من الآن.

فقال مستر وينجفيلد فى غضب وانفعال:

- لكننى أمنعك من المضى فى إجراء تلك التجربة يا دكتور لما فى ذلك من مخاطر تحدق بزوجتى.

فعقب الطبيب فى هدوء:

- أنا أعلم منك فى مثل هذه الأمور أليس كذلك؟ ثم إننا سنضعها الآن بالقرب من النافذة لكى تهدأ أعصابها وتسترد أنفاسها.

وأسرعت الممرضة إلى دفع المائدة التى تنام عليها مسز وينجفيلد ناحية النافذة.

من ناحيتها وقفت إيميلين تراقب ما يحدث عن كثب، وقد تنهدت وقالت بصوت عالٍ لا يخلو من الأسى:

- أظن أن الأمور قد اتضحت بعد أن أكدت جين أن اسم الشخص يبدأ بحرف (الباء) أليس هذا صحيحًا يا بريان؟

ورمقت وينجفيلد بنظرة ذات معنى فقال فى بطء:

- أوه كم كنتِ تكرهيننى يا إيميلين، وكنت تنتظرين تلك الفرصة لإثارة الخلاف بينى وبين زوجتى، ولكننى أود أن أؤكد لك على مرأى ومسمع من الجميع أننى لم أفكر أبدًا أو أحاول التخلص من زوجتى جين.

- هل تعترف إنك على علاقة بهذه المرأة؟

والتفت ناحية برندا جاكسون فتنهدت برندا وقالت:

- إن هذا افتراء لا أساس له من الصحة.

- قولى ما يطيب لك.. لكنك لا تنكرين أنك غرقت فى حبه حتى الثمالة أليس كذلك؟

- سأخبرك بالحقيقة.. لقد أحببته فى وقت ما ولا أنكر ذلك ولكنه لم يلتفت إلىّ إطلاقًا.. وقد انتهى كل شئ منذ فترة بعيدة.

- إذا كان ذلك كذلك فلماذا بقيت حتى الآن للعمل معه؟

- لأننى.. لأننى كنت وسأظل أريد أن أكون دائمًا بجواره.

- ولهذا تمنيت الخلاص من جين حتى تروق لك الأمور ويلتفت هو إليك وتصبحين الزوجة الثانية فهل فى ذلك شك؟

صرخ مستر وينجفيلد وقال:

- كفاك يا إيميلين.. كفاك.

وقالت برندا:

- إنك امرأة قميئة وأنا أحتقرك وأكرهك بشدة.

فقال روس معقبًا:

- بريان وبرندا.. اسمان يبدأ كل منهما بحرف الباء، إن هذا الاكتشاف المذهل يضيق دائرة الشبهات، ولابد إن أحدكم هو المقصود.

فقال مستر وينجفيلد:

- ولماذا لا يكون المقصود هو (بيل) ألم يكن هذا هو اسمك الذى ينادونك به؟ ثم من المستفيد من موت جين؟ أنت وإيميلين ولا أحد غيركما.. إنكما وريثاها الوحيدان كما أشارت لذلك وصية أبيكما.

فقال جنز برج:

- أنا أرفض التراشق بالاتهامات فى مثل هذا المكان.

ثم التفت إلى الممرضة وقال:

- من فضلك اصحبيهم إلى قاعة الاستقبال.

فقال روس:

- أظن إنه من غير اللائق أن نظل فى مثل هذه الغرفة الصغيرة بينما تتفاقم الأمور سوءاً وكلنا يتحفز للآخر.

فقال المفتش:

- اذهبوا أينما شئتم، ولكن شريطة ألا تغادروا المستشفى.

ثم أردف يقول بلهجة حازمة وصارمة:

- هل استوعبتم ما أقول يا سادة؟

فقال روس:

- نعم يا سيدى المفتش جراى.

وقالت إيميلين:

- إننى في أشد اللهفة على معرفة الجانى قبل مغادرتى للمستشفى.

وقالت برندا:

- أعتقد إنك أنتِ التى قمت بالقاء شقيقتك من الشرفة.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنك وشقيقك ستستفيدان من موتها حيث ستؤول إليكما ثروتها حال وفاتها.

- إن اسمى لا يبدء بحرف الباء، وأحمد الله على ذلك يا برندا؟

فعلقت برندا:

- لا تنسِ أنهم ينادونك باسم (بانى) بغرض التدليل.

ثم اتجهت ناحية المفتش وقالت:

- لنفرض أيها المفتش أن جين لم تر الشخص الذى ألقى بها من الشرفة.

- لكنها أكدت أنها شاهدته.

- أقول لنفرض، وإنها انتهزت هذه الفرصة للانتقام من شخص كانت تكرهه وتمقته.. إنها كانت بالفعل تعرف ما كان بينى وبين بريان، ولهذا كانت تغار منى وربما سمح لها هذا الجهاز بالفرصة للانتقام منى وفى إمكانها أن تفعل ذلك وتقول: (إن برندا ألقت بى من الشرفة) أليس هذا احتمالاً وارداً؟

- لكننى أستبعد ذلك تماماً.

- لماذا؟ إن المرأة الغيورة تملك قدراً هائلاً من الكراهية

والحقـد يدفعـها لمثل هذا الأداء الكاذب وبضـمير بارد. لقد ظلت مسـز وينجفيلد طريحـة الفراش طوال الفترة الماضـية، وربما تساءلـت فى نفسهـا هل مازالت على عـلاقة بزوجـها؟ وهل توطدت العلاقة بيننا أكثر مما كان قبل الحادث؟

ونظرت إلى بريان. فقال بدوره مؤمنًا على كلامها:

- هذا احتمال منطقى.

واتجهت برندا إلى إيميلين وقالت:

- إنك كنت تكرهينها بشدة. . أنا على ثقة من ذلك.

- أنا! أنا أكره أختى؟

- لقـد لاحظت نظراتك إليـها. . إنك كنت تحـبين بريان وكنت شبه مخطوبة له، ثم جاءت أختك من الخارج وخطفته منك. . إن جين روت لى تلك القصة بتفاصيلها، وقالت لى: إنك لم تغفـرى لها هذا التصرف. . ولهذا فـأنت تحملين فى صدرك مخزونًا هائلاً من الكراهية نحوها. . ولهذا أعتقد أنك ذهبت إلى الغرفـة ورأيتها تطل من الشرفـة فانتهزت الـفرصة للانتقام منها وألقيت بها فى الشارع.

صرخت إيميلين فى ضيق وحنق:

- أيها المفتش. . ألا تريد أن تضع حدًا لهذا الهزار؟

فأجابها فى هدوء:

- لا أظن أننى أريد ذلك يا مس روس إنهـا فرصـة رائعة لسماع واكتشاف المزيد من المعلومات.

فقال جنتز برج:

- أرى من الأهميـة بمكان أن أطالبكم بمغـادرة المكان فوراً لأنه ينبغـى علينا أن نوفر مناخـًا مـلائمًا للمريضة لـكى نعاود استئناف التجربة مرة أخرى بعد نصف ساعة.

ثم أردف وهو يطفى الأنوار:

- سوف ترافقكم الممرضة إلى قاعة الاستقبال.

ففتـحت الممرضة الباب، وتأهب الجميع لمغـادرة الغرفة، وحين وصلوا إلى الباب قال المفتش فجأة:

- مس روس. . لحظة من فضلك.

- ماذا تريد؟

- نظر المفتش جراى قليلاً حتى غادر الآخرون الغرفة، ثم أشار عليه بالجلوس وهو يقول:

- أردت أن ألقى على مـسـامعك بعضـًا من عـلامـات الاستـفهـام بعيدًا عن شـقيـقك حتى لا أجرح كـرامتـه أمام الآخرين.

- تجرح كرامة ويليام؟! إنك تجهل شخصيته.. إنه إنسان عديم الكرامة.. إنه لا يستحى ولا يشعر بالخجل حين يقول علنا: إنه لا يعرف من أين سيحصل على شلن يضعه فى جيبه.

فقال المفتش فى هدوء وأدب جم:

- هذه معلومة رائعة ولطيفة أيضاً.. ولكن وددت أن أتحدث معك الآن عن زوج أختك.

- بريان؟ ماذا تريد أن تعرف عنه؟

- أنت تملكين معلومات وفيرة عن كافة أفراد أسرتك.. وامرأة مثلك تتصف بالذكاء لا شك إنها تعرف كل صغيرة وكبيرة فى حياة أختها وعن شكل وجوهر العلاقة بينها وبين زوجها، وقد كان من حقك منذ وقت قليل الالتزام بالصمت والسرية، ولكن للأسف فإن التجربة التى أجريناها على مرأى ومسمع منك قد أثارت لغطًا وشكوكًا كثيرة ومن ثم لم يعد السكوت والكتمان ذوا جدوى لنا جميعًا.

- ما الذى تريد أن تعرفه يا مستر جراى؟

- أريد أن أعرف المزيد من المعلومات حول علاقة أختك مع زوجها، وعلاقته هو بالسكرتيرة، وهل كانت علاقة جادة أم لا؟

- لم تكن علاقة جادة.

- من جانبه هو أم هما معًا؟

- من جانبه هو.

- ولكن كانت هناك علاقة أليس كذلك؟

- طبعًا.. إن اعتراف برندا أمامنا يعزز تلك الشكوك بالطبع.

- ومتى بدأت هذه العلاقة؟

- أظنها منذ عام علي وجه التحديد.

- وهل كشفتها مسز وينجفيلد؟

- نعم.

- وماذا صنعت إزاءها؟

- كانت تتجه باللوم والتقريع لبريان دائمًا.

- وماذا عنه؟

- كان يصر على عدم الاعتراف كعادته.. وكان يتهمها بالجنوح إلى الخيال وادعاء الأكاذيب..

أنت أدرى منى فيما يفعله الرجال فى مثل هذه المواقف.. إنهم يكذبون ويصرون على الكذب للهروب بسلام من هذا المأزق.

فتبادل المفتش والطبيب نظرات ذات معنى واضح.

وأردفت إيميلين تقول:

- لقد أصرت جين على طرد برندا من مكتب زوجها لكنه أصر على وجودها زاعماً إنه يتعذر عليه وجود سكرتيرة بارعة مثلها.

- أظن أن هذا ضاعف تعقيد الأمور بينهما؟

- طبعاً.. طبعاً.

- إلى الحد الذى يدفعها للسقوط من شاهق؟

- إنها أقدمت على ذلك تخلصاً من حياتها التعيسة.

- ما شكل هذه التعاسة؟

- إنها مجرد شكوك وهلاوس وهواجس.

- لماذا تركت شقيقتك بمفردها يوم الحادث؟

- لأنها كانت تميل للجلوس بمفردها لقراءة الكتب وسماع الراديو، وكانت ترفض تجاذب أطراف الحديث معنا.

- من الذى سمح للممرضة بمغادرة غرفة شقيقتك؟

فعلق جنز برج:

- من حق الممرضة أن تحصل على راحة لمدة ساعتين كل يوم.

- أهذا نظام متبع فى حالات التمريض المنزلى؟

- نعم.

فقال المفتش: إن برندا جاكسون أخبرتنا إن العلاقة بينها وبين بريان انتهت منذ فترة طويلة فهل كانت صادقة فى قولها؟

- أعتقد أن هذا صحيح نسبياً.. بمعنى أنهما اتفقا معاً على قطعها أمامنا بينما الحقيقة إنها ظلت موجودة حتى وقت وقوع الحادث.

- هل أنتِ واثقة من ذلك؟

- إننى أقيم فى البيت.. ثم إن لدى ما يعزز ذلك.

قالت ذلك وهى تفتح حقيبتها، وأخرجت منها قصاصة من الورق.

وأردفت تقول: لقد عثرت على هذه فى حوض الزهور.

فتناول المفتش الورقة وراح يقرأها بصوت عالٍ:

- أيتها الحبيبة.. ينبغى أن نكون على حذر أعتقد إنها بدأت ترتاب فى أمرنا.

فقالت إيميلين: إن هذا خط بريان.. وعليه توقيعه بالأحرف الأولى من اسمه.

فنظر جنز برج إلى المفتش وهو يقول:

- هلا سمحت لى بأن ألقى عليها سؤالين؟

- طبعًا.

فقال الطبيب: إن حديثك عن الهواجس أثار فضولى يا مس روس، وأظن أنك كنت تقصدين شقيقتك.

- إنها كانت مريضة ولم تتماثل للشفاء كما كانت تتمنى فكان متوقعاً أن تداهمها الهواجس والهلاوس.

- هل توهمت إن هناك سبباً لتعرقل شفائها؟

- نعم.

فقال جنز برج:

- كانت تتوهم إن زوجها وصديقته يدبران لاغتيالها بواسطة الطعام المسموم.

فأجابت إيميلين بعد لحظات من الصمت:

- نعم.

- هل كشفت لك هذا الهاجس؟

- نعم.

- وكيف كان موقفك؟

- أخبرتها آنذاك إنها تعيش فى الأوهام.

- ولكن هل اتخذت أنتِ أى تدبير لذلك؟

- لا أفهم سؤالك يا دكتور.

- أقصد.. هل فاتحت الطبيب الذى يتولى علاجها بأوهامها؟ وهل أخذت عينة من الطعام الذى تتناوله لتحليله؟

شعرت إيميلين بالدهشة وقالت:

- كلا كلا.. كان الأمر كله مجرد أوهام تراودها.

فقال جنز برج:

- من أدراك ربما كان ما بها صحيحاً.. إن أعراض التسمم بالزرنيخ لا تختلف عن أعراض النزلات المعوية.

- ولكن مثل هذه الأعراض لم تظهر عليها.. ثم من الصعب أن يصنع بريان جريمة كهذه.

- ولكن برندا جاكسون قد تصنع هى ذلك؟

- ربما.

ثم سكتت برهة وعادت تقول:

- على أية حال هذه مجرد افتراضات، وجين وحدها تعرف الحقيقة ولا أحد غيرها.

فقال جنز برج: نستطيع أن نعرف الحقيقة.. إن آثار الزرنيخ يمكن اكتشافها بسهولة من خلال أظافر اليد.

فقالت إيميلين وهى تنهض:

- أنا على ثقة أن بريان زوجها لا يمكن أن يرتكب مثل هذه الجريمة.

وأردفت تقول: هل لديك أية أسئلة أخرى؟

- كلا كلا.. شكراً.

وقبل أن تنصرف طلبت من الدكتور جنز برج أن يسلمها الورقة.. إلا أن المفتش جراى رفض طلبها. وقال: عفواً ساحتفظ بهذه الورقة.. إنها برهان خطير شديد الأهمية.

وغادرت إيميلين الغرفة مسرعة بينما راح جنز برج يقول: أخيراً قد عثرنا على الدليل.

فنظر المفتش جراى إلى الرسالة قائلاً:

- نعم.. رسالة فى حوض زهور.

- أتظنها خطة مدبرة؟

- نعم إنه معروف بمغامراته النسائية وعلاقاته الغريبة فهن يتطايرن حوله كالعصافير رغم أنه لا يبالى بهن ولا يسعى لتوطيد علاقات قوية معهن.

- إنه لا يبدو أمامنا مثل كازانوفا أو دون جوان ثم هو يكتب فى الروايات التاريخية.

فقال المفتش: ينبغى الا تنسَ أن التاريخ ملئ بالمصائب والروائح العفنة تفوح من صفحاته.

فضحك جنز برج قائلاً: أعتقد أننا قطعنا شوطاً كبيراً.

فقال المفتش: لا يجب أن تنطلى عليك تلك الروايات والخدع إننا نتعامل مع سيدات على درجة كبيرة من الذكاء والحقد أيضاً.

واستطرد المفتش جراى قائلاً:

- لقد تحريت عن الأوضاع المالية لهؤلاء الأربعة، وقد اكتشفت أن بريان وينجفيلد رجل فقير، ولكن زوجته تتمتع بثروة هائلة، وقد حررت له وثيقة تأمين تكفى لمساندته ودعمه إذا أراد الزواج بعد وفاتها.. وقد ورد في الوصية التى تركها ابوها إنها إذا توفيت ولم تنجب فإن حظها من الثروة يؤول مناصفة بين أخيها وأختها.

وأخوها رجل فاسد بدد ثروته وراح يبتز أموال شقيقته مسز وينجفيلد بكافة الأساليب، وقد أخبرنى بريان أن زوجته قررت أن ترفع يدها عن مساعدة أخيها ويليام.

- ومن فى تقديرك تتوقع أنه حاول قتلها؟ هل هو بريان أو برندا أو بيل أو بانى؟

فضحك المفتش وقال:

- أليس من اللافت للانتباه أن جميع الأسماء تبدأ بحرف الباء، وهو الحرف الذى ندور حوله لمعرفة الجانى.

- ولكن ألا يمكن أن يكون الجانى شخصاً من خارج البيت ويحمل اسمه حرف الباء فى بداية اسمه؟

- مستحيل.. لأن الحارس الذى كلفته الشرطة بحراسة المنزل أكد لنا أن أحد لم يدخل أو يخرج منه غير هؤلاء.

فقال جنز برج في لهجة لوم وعتاب محدثًا المفتش جراى:

- أشعر أنك تماطلنى رغم أنك طلبت منى مساعدتك فى كشف النقاب عن أسرار هذا الحادث، ولهذا أشعر أنك تتعمد إخفاء بعض المعلومات عنى، ولذا فأنا أطالبك بالكشف عما أخفيته عنى، ثم أخبرني بربك من الذى تظن إنه حاول قتلها؟

- أنا لا أظن لكننى واثق ومتأكد.

- إذن من هو؟

واستطرد يقول فى لهفة وشوق:

- فكر.. سأمنحك فرصة فى الوقت لكى تشرح لى ما توصلت إليه من يقين راسخ لا يقبل الشك على حد قولك.

وراح الدكتور جنز برج يتجه صوب المريضة وهو يقول:

- نحن نشكرك يا مسز وينجفيلد لأنك تعاونت معنا حتى تمكنا للوصول إلى المراحل النهائية للوصول للجانى.

وقال المفتش جراى:

- اسمعينى جيداً يا مسز وينجفيلد إننا سنتركك الآن دون أية حراسة ظاهرة وليس بين المشتبه فيهم من يعرف أن عقدة لسانك قد حلت أمس، وأنك تقدرين على الكلام. كذلك ليس بينهم من يعرف أيضاً أنك لم تشاهدى هذا الشخص الذى ألقى بك من الشرفة هل تفهمين معني ما أقول؟

فقالت المريضة:

- هل تقصد أن واحداً منهم سيحاول أن...

نعم وسيدخل غرفتك دون شك.

فقال جنزبرج:

- هل أنت متأكدة فى قوتك على مواصلة التجربة حتى نهايتها يا مسز وينجفيلد؟

- نعم نعم.. إننى أريد أن أعرف من هو؟ ولماذا؟

فقال المفتش جراى:

- لا تخشِ شيئاً.. سوف نكون على مقربة منك وإذا أراد أحدهم أن يمسك بسوء فسوف..

قاطعته وقالت:

- اطمئن أنا أعرف جيداً ما ينبغى عمله.

- أشكرك يا مسز وينجفيلد على شجاعتك وأرجو منك

أن تتحلى بالصبر وتتريث ولسوف نكشف القاتل بعد قليل وتأكدى إننا سنظل بجوارك.

ثم التفت إلى جنز برج قائلاً:

- هيا بنا.

فقال الطبيب:

- لماذا لا ترافقنى إلى مكتبى؟

وغادر الرجلان بعد أن أطفا الأنوار بينما سبحت الغرفة فى ظلام دامس.

* * * * *

ومضت دقائق قليلة والسكون يسود الغرفة، ثم فُتِح الباب فى هدوء ودلف إلى الغرفة شخص يبدو وكأنه شبح حاملاً في يده حقنة فصرخت المريضة فى الحال:

- النجدة!! النجدة!!

وقبل أن ينتهى صراخها فتح الباب ودخل المفتش مسرعًا وهو يقول:

- اطمئنى يا مسز وينجفيلد.. إننا هنا.

وأقبل الطبيب مسرعًا فأضاء النور وانحنى فوق المريضة التى راحت تشير إلى الستار وهى تلوح بيدها وتصرخ:

- هنا.. هنا..

فقال المفتش:

- هل هى بخير يا دكتور؟

- نعم.. لقد لاحظنا أنك كنت على قدر كبير من الشجاعة يا مسز وينجفيلد.

فقال المفتش:

- أشكرك يا مسز وينجفيلد.. لقد وقع القاتل فى شباكنا

ثم التفت إلى الطبيب وقال:

- لقد كانت الرسالة التى وجدت فى حوض الزهور هى كل ما أحتاج إليه.. إن بريان وينجفيلد لم يكن فى حاجة إلى كتابة رسالة سرية إلى سكرتيرته وهو يلتقى بها فى كل لحظة لقد كتب تلك الرسالة لامرأة أخرى.. أضف إلى كل هذا أن شرطى المنطقة أكد أن أحدا لم يدخل أو يخرج من المنزل بعد ظهر ذلك اليوم.

ثم نظر ناحية الستار وأردف قائلاً:

- معنى هذا أنك لم تخرجي للنزهة بعد عصر ذلك اليوم يا مس بوند.. أليس هذا صحيحًا؟

فى استطاعتك أن تخرجي من خلف الستار.

الثعلب

(١)

بعد أن منحت السيدة الأنيقة حفنة من البنسات لسائق السيارة الأجرة، ثم مشت بضع خطوات نحو البيت الذى تهدف إليه كانت خطواتها بطيئة ورشيقة، وهي تشبه التى تستمتع بفتنتها وسحرها وجاذبيتها . . وتتمنى أن يلحظ الجميع أناقتها وجمالها ورشاقتها وأنوثتها.

لم يكن عمرها يتجاوز الثلاثون، وتتمتع بقامة طويلة ونحيلة الخصر ذات وجه لامع مشرق وعينان زرقاوان يشع منهما بريق وذكاء وحيوية.

أما المنزل الذى دخلته فقد كان حديث العهد بالبناء، وكان مصعده معطلاً . . وصعدت درجات السلم بهدوء شديد ووقفت أمام أحد أبواب الطابق الخامس، ثم ضغطت على الزر ومضت دقيقة دون أن يتقدم أحد لفتح الباب فضغطت على الزر مرة ثانية . . وانتظرت قليلاً.

ولكن الباب كان موصدا، ولم ينبعث من الشقة ما يؤكد أن بداخلها أحد.

وفى حركة انفعالية هزت رأسها فى دهشة وضيق ثم راحت تدق الباب بعنف وهى تصيح:

- ألا يوجد أحد فى هذه الشقة؟

وعلا صوتها وصراخها دون أن تتلقى حركة أو جوابًا واستدارت لتعود ثم فكرت برهة، وعادت تدق الباب مرة أخرى بعنف وفى هذه المرة دفعته بيدها ففتح.

وقفت علي عتبة الباب وصاحت تقول:

- باتريشيا.. مايكل.. أين ذهبتما؟!

ورغم طبقات صوتها العالية المثيرة للجلبة، فلم يصل إلى مسامعها ما يشير إلى وجود أحدهم داخل الشقة وفى النهاية أغلقت الباب ودخلت.

* * * * *

كانت الشقة صغيرة تتكون من صالة واسعة فى صدرها نافذة عريضة تبدو منها أسطح البيوت المجاورة بينما فى يسارها أحد الأبواب المؤدية إلى مطبخ صغير وفى الجهة اليمنى باب يؤدى إلى الشرفة.. وهناك بابان آخران يؤديان إلى غرفة النوم والحمام.

طافت السيدة بأرجاء الشقة.. واستغربت أن أحدًا لا يوجد بداخلها فخلعت قفازها ووضعته فى حقيبتها.. ثم علقت الحقيبة على مقعد فى الصالة.. وخلعت شلة الفرو التى كانت تلف بها عنقها، وألقت بها على مسند المقعد ثم مدت يدها إلى صندوق مصنوع من الخشب ومرصع بالصدف مخصص لتخزين السجائر.

كان هذا الصندوق موضوعًا على المائدة ففتحته، ولكنها وجدته فارغًا.. فأخرجت علبة سجائر من حقيبتها وتناولت سيجارة أشعلتها بواسطة ولاعة ذهبية ثم راحت تدخن وتنفث هواءها ببطء وهى تختال فى الصالة، ثم وقفت أمام عصفور فى قفص فى أحد أركان الصالة وراحت تتأملة فى فضول.

بعد لحظات تأملت ساعتها وهزت رأسها فى استغراب وهمست لنفسها:

- هذا غريب! ماذا يعنى هذا التصرف؟

وحين استدارت لمغادرة الشقة.. ترامى لمسامعها حركة فى الخارج كأن أحدهم يعبث بقفل الباب ثم سمعت من يقول:

- هذا غريب.. إنه مفتوح.

ودخلت سيدة فى العقد الثالث من عمرها وفى يدها

مفتاح كانت تعبث به فى قفل الباب، وحين وقعت عيناها على المرأة الفاتنة الأنيقة صاحت:

- ساندرا.. أنت هنا؟

وردت ساندرا:

- جنيفر!! إننى أفتقدك فلم أرك منذ دهر.

- ماذا جاء بك ساندرا؟

- لقد جئت إلى هنا مبكراً.. إنه موقف محرج أن يذهب الإنسان إلى حفل قبل أن يحل موعده.

- عن أى حفل تتحدثين يا ساندرا؟

- هو ليس حفلاً بالمعنى الشائع.. فهو عبارة عن سهرة لتناول الشراب.

ظهرت الدهشة على وجه جنيفر وسألت:

- هل دعاك أحد لتناول الشراب هنا هذا اليوم؟

- نعم دعيت كما دعيت أنت أيضًا.

فقالت جنيفر وهى تستدير:

- ليس كذلك.

- ماذا تقصدين؟ هل هناك ما يمنع باتريشيا تورانس وزوجها من دعوتى لتناول الشراب؟

- كلا.. لا يوجد مانع إذا كانا يقيمان فى إنجلترا.

- أوه.. أتقصدين أنهما خارج إنجلترا؟

فهزت جنيفر برأسها إيجابا وقالت بعد أن وضعت حقيبتها على المائدة وهى تجلس على أحد المقاعد:

- نعم إنهما فى فرنسا.

ففتحت ساندرا عينيها الجميلتين فى دهشة وصاحت تقول:

- ولكن باتريشيا حدثتنى هاتفياً يوم الثلاثاء أمس الأول.

فقالت جنيفر فى لهجة ساخرة:

- أهذا صحيح؟

- نعم.

- كلا يا عزيزتى.. كان يجدر بك أن تقولى قولاً منطقيًا إن الكذب لا يستمر طويلاً.

- ماذا تقصدين؟

فقالت جنيفر وملامح الدهاء تطل من عينيها:

- أظن أنك أقنعت باتريشيا بأن تزودك بمفتاح الشقة، وإنك جئت إلى هنا لمقابلة أحد الأشخاص فمن هو؟ هل ستذكرين اسمه أم أذكره أنا طبقًا لتوقعاتى؟

- ماذا دهاك يا جنيفر؟ هل أصابك مس من الجنون؟ لقد قلت لك: إن باتريشيا هاتفتنى ودعتنى للحضور.

فقالت جنيفر وهى تحمل حقيقتها:

- كلا كلا.. لا داعى لهذه الذرائع الساذجة.. أخبرينى عن السبب المنطقى الذى دفعك للمجئ إلى هنا..

ثم ألقت بنظراتها على قفص العصفور وهى تقول:

- قولى مثلاً إنها طلبت منك الحضور لرعاية هذا العصفور المسكين؟

- نعم لقد حدثتنى بالفعل عن العصفور.

فعلقت جنيفر وهى تبتسم:

- ولكنها اتفقت معى أن أطعمه وأرعاه.

ثم أخرجت من حقيبتها أحد الأكياس الصغيرة المملوءة بالورق وقالت: أوه.. يبدو أن ذاكرة باتريشيا قد أصابها الضعف وإلا لماذا كلفتنا بمهمة مماثلة؟

فقالت ساندرا:

- الواقع يا جنيفر إنك..

- لا داعى للغضب.. إنما أردت فقط توجيه اللوم والعتاب صحيح أنا سعدت لمقابلتك بعد هذا الوقت الطويل.. ولكن أخبرينى من هو الشخص السعيد الذى أقبلت إلى هنا لمقابلته؟ وتأكدى أننى اعرف كيف أكتم سرك إنه فى بئر عميق أخبرينى.. ولا داعى للكتمان.

فقالت ساندرا وهى تطفئ سيجارتها:

- أوه من الصعب أن يتحملك أى شخص يا جنيفر؟

- لا داعى للانفعال يا جميلتى.. إن أكثر ما يثير دهشتى أن تتصل بك باتريشيا، وتقدم لك هذه الخدمة، وتترك لك شقتها.. إن معلوماتى عنها أنها لا تجامل أى شخص وربما تعلمت صفة المجاملة من كثرة أسفارها، وقد ظلت فترات طويلة تقضى حياتها فى مناطق نائية بالمستعمرات البريطانية.

قالت ذلك وهى تجثو بركبتها على الأرض بجوار ساندرا وأردفت تقول بأسلوب ماكر لا يخلو من الدعابة:

- أخبرينى يا عزيزتى.. من هو الطرف الثانى فى مغامراتك الجديدة؟ هيا لماذا لا تتكلمين؟

- أوه.. صدقينى أنا لا أعيش فى مغامرة مع شخص آخر.

- إذن ما الذى أتى بك إلى هنا فى شقة تورانس بينما هم فى رحلة إلى فرنسا؟ أتظنين أننى ساذجة حتى أصدق أنك أقبلت إلى هنا لتناول الشراب فقط؟

- يبدو أننى قد أخطأت السمع وهذا كثير ما يحدث ربما قصدت باتريشيا دعوتى الأسبوع القادم، ولكننى أقسم لك إننى قد جئت وأنا أتوقع وجود الكثيرين هنا فى الشقة.

- هل أنت صادقة فى أنك لم تنتظرى أحداً؟

استدارت ساندرا إلى صديقتها الماكرة وقالت:

- إن الشخص الوحيد الذى أنتظره هنا هو جون.

- أوه زوجك؟

- نعم.. لقد أخبرنى أنه سيأتى إلى هنا عقب فراغه من عمله.

- إنه إنسان لطيف للغاية أليس صحيحاً؟

- نعم هذا ما أظنه.

- إنه هادئ لا يحتقر أحداً ولا يسئ إلى أى شخص والأهم من كل هذا.. أنه يحبك لدرجة الجنون.. أليس كذلك؟

فأجابت ساندرا فى كلمات موجزة:

- إنه لا يمقتنى.

- أوه إنك شديدة التواضع.. وهل يوجد بين الرجال من يكرهك؟

حاولت ساندرا تغيير الحديث فقالت:

- أليس واجباً أن تعملى على إطعام العصفور ما دامت هذه هى مهمتك؟

فعلقت جنيفر وهى تنهض:

- ساندرا.. هل تقصدين إن إطعام العصفور ليس هو الهدف الأساسى الذى جئت من أجله.. وأننى جئت لمقابلة شخص ما؟

- كلا طبعاً.. إننى لم أفكر فى ذلك لحظه واحدة.

* * * * *

فى صدر الصاله كان يوجد صندوق خشبى كبير فجلست جنيفر عليه، وفتحت باب قفص العصفور وتناولت طبقاً صغيراً كان موجوداً بداخله، ووضعت بداخله محتويات كيس الورق ثم أعادته مرة أخرى إلى مكانه داخل القفص. وقالت بأسلوبها الماكر:

- إننى لا أفهم سر تلك الرحلات التى تقوم بها باتريشيا وزوجها بين وقت وآخر.. إنهما يعودان دائماً بعدد لا بأس به من التحف والتذكارات الغريبة النادرة.. وصدقينى إننى سرقت مرة طفاية سجائر من فندق كارلتون بمدينه (كان) الفرنسيه ولم أغفر لنفسى أبداً.. ولكن السؤال الذى يلح فى

خاطرى.. لماذا أحضر عصفورا واحد ولم يحضر عصفورين؟ انظرى انظرى.. إلى الطائر المسكين.. إنه حزين ينظر حوله بحثًا عن أليف يؤانس وحدته. يا إلهى لقد شرب آخر نقطة من الماء.

ونهضت نحو باب القفص وفتحته وأخرجت علبه الماء واتجهت بها إلى المطبخ.

ولكن ظلت ساندرا مكانها، وقد انهمكت في إشعال سيجارة ثم مضت ببطء إلى الشرفة وأطلت منها.

وعادت جنيفر تحمل الماء ووضعته فى القفص وخرجت منها صرخة حين شاهدت ساندرا تطل من الشرفه وقد قالت لها:

- أوه ماذا دهاك يا ساندرا؟ أتظنين عودة باتريشيا وزوجها؟ ألم أقل لك إنها فى فرنسا.. على أية حال أنا فرغت من مهمتى وسوف أذهب الآن.. الى اللقاء يا ساندرا.

عادت ساندرا من الشرفه وهى تقول فى يأس:

- يبدو إنه لا جدوى من بقائى هنا.. سأذهب معك.

- ولكن ألم تخبرينى أن زوجك سوف يأتى؟

فى تلك اللحظه رن جرس الباب فصاحت جنيفر:

- ها هو قد وصل الآن.

وأسرعت إلى الباب وفتحته لتجد أمامها رجلاً فى العقد الرابع من العمر.. يبدو أرستقراطيًا من مظهره أنيقًا فى ملبسه.. ذا وجه بشوش وعينين مرحتين، قال وهو يرفع قبعته:

- مساء الخير يا سيدتى.

لمحته ساندرا وترامى صوته لمسامعها وأخذتها الدهشه ورآها الرجل أيضا حتى صاح فى دهشة:

- هالوا ساندرا.

- هالوا ديفيد.

وقفت جنيفر بينهما وقد تملكتها الحيرة وفى عينيها نظرات ماكرة. فقالت ساندرا:

- دعينى بداية أقدم لك مستر فورستر.. ديفيد فورستر.

ثم التفت ناحيتها وهى تقول فى مرح:

- وهذه مسز برايس.. جنيفر برايس.

أمسك ديفيد يد جنيفر برفق وحنان فقالت ساندرا:

- يبدو أنك أخطأت مثلى هذا اليوم يا ديفيد فقد أخبرتنى جنيفر أن باتريشيا وزوجها توجها إلى باريس.

فقال ديفيد وعيناه على جنيفر وهو يبتسم:

- أهذا حقًا؟ معنى هذا إننا ضحية خداع من باتريشيا.

فقالت جنيفر وهى تنظر إلى القفص:

- أنا جئت هنا فقط من أجل إطعام العصفور.

فنظر ديفيد إلى القفص والعصفور وقال:

- ما أروعه.

فقالت جنيفر بسرعة:

- يجب أن أذهب الآن.. سعدت للغاية بوجودك يا مستر فورستر.. إلى اللقاء يا ساندرا.

وانصرفت جنيفر وأغلقت الباب وراءها فقال ديفيد وهو يضع يده على أحد المقاعد:

- من هى بحق السماء؟

- جنيفر برايس.

- هل هى صديقتك؟

فهزت كتفها وأجابت:

- لا أزعم ذلك.

- وماذا كانت تفعل هنا؟

فقالت ساندرا بعد أن أطفأت سيجارتها:

- ألم تسمع ما روته؟ إنها جاءت لاطعام العصفور، ولكن أخبرنى ماذا جاء بك إلى هنا؟

- جئت من أجلك أنت أيتها الحبيبة.

- من أجلى أنا؟

قال وهو يلتفت حوله:

- بربك.. من صاحب هذه الشقة؟

- إنها شقة مايكل وباتريشيا تورانس.

- آه.. لكنها شقة رائعة هل ينامان على تلك الأريكة؟

- لا أعلم ولكن أعتقد أن هناك غرفه نوم لهما.

فقال لها فى دفء وحنان:

- لقد اشتقت إليك ومنذ زمن بعيد لم ألتقِ بك.

- لقد قابلتنى الأسبوع الماضى.

- نعم أجمل وأطول أسبوع فى حياتى كلها يا ساندرا.

- كم أتمنى أن نلتقى علنًا.

- ربما يحدث ذلك عما قريب.

- إننى كرهت اللقاءات السرية والخطط الخفية.

- سوف تتغير الأمور قريبًا اطمئن.

ثم تركها فجأة وقد بدت عليه علامات الأسى وهو يقول:

- هل لاحظت نظرات جنيفر؟ لقد كانت نظرات ماكرة وخبيثة. . ترى هل خالها الشك حولنا؟

- لا أعرف لكنها دائماً تسئ الظن.

- وهل تعتقدين أنها قد تفسر سر وجودنا؟ لقد كنا ندبر أمورنا بذكاء وحيطة ولكنها أفشلت مخططاتنا.

- لقد أخبرتها أننى أنتظر زوجى.

- وهل صدقت هذا الادعاء؟

- كانت من الممكن أن تصدقنى لو لم تأتِ أنت إلى هنا.

- ما أغبانى.

ثم راح يجوب الغرفة ويداه خلف ظهره ثم التفت قائلاً:

- ولكنك كنت بارعة حين أبديت دهشتك لوجودى.

- إننى دهشت فعلاً.

- ماذا تقولين؟ ألم تطلبى منى الحضور إلى هنا؟

شعرت ساندرا بالدهشة وقالت:

- أنا؟ كلا، أنا لم أطلب حضورك إلى هنا.

- ولكنى تلقيت مكالمة هاتفية.

- تقول مكالمة هاتفية؟ وماذا جاء بها؟

- أخبرنى المتحدث بأهمية حضورى إلى مقابلتك فى

الساعة السادسة والنصف بالمنزل رقم ٥١٣ بشارع ألبيرى. أليس هذا هو العنوان الذى نحن فيه الآن؟

- طبعا. . هو.

- إذن؟

تسمرت ساندرا مكانها، وأحست بالذهول ثم صاحت فجأة:

- إننى أشم رائحة مريبة يا ديفيد. . لقد اتصلت بى باتريشيا تورانس ودعتنى للحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب معها.

- إذن دعينا نبدأ من البداية. . من هى باتريشيا؟

- إنها زوجة مايكل تورانس وهو موظف فى منظمة اليونسكو، وقد عاد مؤخراً من الشرق الأوسط وأفريقيا.

فقال ديفيد وهو يتأمل أثاث المنزل:

- هذا يبدو صحيحاً. . اتصلت باتريشيا بك لدعوتك لتناول الشراب معها فى سهرة ليلية فلبيت دعوتها. . ولكننى ألاحظ إن هناك خطأ ما لأننى لا أرى ما يدل على وجود حفلة.

ثم صاح فجأة وقال:

- ولكن كيف دخلت؟

- ضغطت الجرس وبدا وأنه لم يكن مغلقا فدفعته بيدى ففتح.

- هذا يدعو للغرابة والدهشة.

- والأغرب أن باتريشيا سافرت منذ أسبوع إلى فرنسا فكيف تمكنت من الاتصال بى أمس الأول؟

- هل حدثتك بنفسها أم أن أحدهم تولى ذلك؟

- بل هى التى حدثتنى.

- هل أنت واثقة إنها هى؟

- الحقيقة إن علاقتى بها ليست متينة ومن ثم فلا أستطيع أن أميز صوتها، وإن كانت قد أخبرتنى فى البداية بقولها باتريشيا تورانس تتحدث فلم أرتب فى الأمر.

قال ديفيد فى انفعال:

- توجد حلقة مفقودة لا أستطيع كشفها.

- نعم هناك ما يثير دهشتى ويبعث على القلق.

- وماذا يقصدون بذلك؟ لماذا اتصلت بك لتدعوك إلى هنا؟ ثم لماذا اتصلوا بى أيضًا لمقابلتك هنا؟ ماذا يحدث حولنا؟

فقالت ساندرا: هل من الممكن أن. .

سكتت ولم تكمل حوارها حيث قاطعها ديفيد وهو يتفحصها:

- ماذا يدور فى خاطرك تكلمى؟

فقالت ببطء: هل يقف جون وراء تلك الخطة؟

فصاح فى ذهول:

- أوه. . جون؟ زوجك؟

- لقد خيل لى أنه يرتاب فى أمرنا؟

قال فى سخط:

- ما أغباك. . أنت لم تخبرينى شيئًا من قبل.

- كنت أعتقد إنه مجرد وهم يراودنى.

- جون؟ ولكن ما هى علاقته بباتريشيا وزوجها أتظنين أنه أقنعها بأهمية حضورك إلى هنا؟

فكرت ساندرا قليلاً ثم قالت:

- هذا تفسير يخلو من المنطق. . إنه لا يعرفها.

فقال ديفيد وهو غارق فى أفكاره:

- لعله استطاع أن يستعير هذه الشقة ثم أوعز إلى إحدى السيدات لتتصل بك على إنها باتريشيا.

فصرخت ساندرا:

- ولكن لماذا؟ لماذا؟

- ألا تفهمين الآن؟ إنه يريد أن يضبطنا فى حالة تلبس!

- أوه ما أبشع ذلك.

- وما يدرينى لعله أخفى بعض رجال الشرطة السريين فى الحمام من أجل هذا الغرض.

وأسرع ناحية الحمام وفتحه وتأمله ثم عاد وقال:

- إنه حمام صغير المساحة ولا يوجد أحد بداخله.

ثم التفت حوله فى جزع وأردف يقول:

- إن الشقة صغيرة للغاية.. ومكشوفة ولا أظن أن أحدهم يستطيع الاختباء فيها.

- ربما أراد أن يفاجئنا بنفسه ونحن فى حالة تلبس.

- أليس هذا غباء وحقارة منه أن يدبر لنا ذلك؟

فقال ديفيد فى تهكم:

- لا تعيبى على مسلكه يا حبيبتى.. إنه زوج وله كل الحق فى مراقبة سلوك زوجته خاصة إذا كان لها عشيق.

ثم استوى على الأريكه وقال:

- أخبرينى بربك.. متى بدأت حياتكما الزوجية؟

- منذ عامين.

- وهل كان خلال تلك الفترة يغار عليك؟

فنظرت إليه وكأنها تقف أمام مفتش من شرطة سكوتولانديادر.

- وهل تظن أنه لا يغار على؟

واستطردت: ولكنه إنسان غبى وساذج وأى إنسان يستطيع خداعه.. وقد كنت واثقة أنه لا يخالجه أى شك فى سلوكى.

- يبدو أن أحد أصدقائه المخلصين شاهدنا ذات مرة وقام بإبلاغه بينما كنا نظن أننا نحسن السرية.

فقالت ساندرا فى أسى:

- مهما كانت محاولاتنا ومخططاتنا فى اللقاءات السرية فلابد أن ينكشف هذا الأمر إن لم يكن اليوم فغداً.

- أشاطرك الرأى ولهذا يحسن بنا مغادرة المنزل الآن بأقصى سرعة على أن نعود إلى مكاننا المألوف غداً كالمعتاد بعد أن تتأكدى إننا فى مأمن.

والآن هل جمعت حقيبتك فلا ينبغى أن يرانا هنا معاً.

قال ذلك وهو يرفع قبعته وفى تلك اللحظة رن جرس الباب.

* * * * *

(٢)

تجمد ديفيد في موضعه بينما انتاب ساندرا الذهول والدهشة.

وقالت بصوت هامس:

- ديفيد.. ترى من القادم؟

- لا تتكلمي.

وأعاد قبعته إلى مكانها على المقعد وأردف قائلاً:

- إذا كان زوجك ولم يسمع أية حركة أو صوت فربما ينصرف.

ورن جرس الباب مرة أخرى فقالت ساندرا:

- لكن الباب مفتوح.

- أوه.. ليتني قمت بإغلاقه.. اجلسي يا حبيبتي وتريثي.. هلا أشعلت سيجارة.. إن التوتر والانفعال سيضروننا.

وقدم لها سيجارة وأشعلها.. وفتح الباب وتسلل شاب في الثامنة والعشرين من العمر يرتدي ثيابًا فاخرة وفي يده قفاز، كان شديد الوسامة وإن كانت عيناه ضيقتين تطل منها نظرات ثعلب.. وحين وقع بصر ساندرا عليه صاحت تقول:

- أليكس.

فقال الشاب:

- هالوا ساندرا.. هالوا ديفيد.

ثم قال وهو ينظر حوله فى دهشة:

- يبدو أننا جئنا إلى الحفل فى وقت مبكر.

تنفست ساندرا الصعداء وقالت:

- إذن هناك حفل؟ لقد كنا نتحدث عن ذلك وتصورنا إننا ربما أخطأنا المكان أو الزمان لأننا لم نلاحظ شيئًا يدل على وجود حفل.

فقال أليكس وهو يلتفت حوله:

- هذا صحيح.. إننى لا ألاحظ شيئًا من طعام أو شراب أو زهور أتظنان أن باتريشيا أقامت حفلها فى مكان آخر؟

فقال ديفيد:

- يبدو لى إنه أمر يدعو للحيرة والدهشة.

- هل جئتما منذ وقت طويل إلى هنا؟

أسرعت ساندرا تقول:

- جئت منذ خمس دقائق تقريبًا.. وقد جاء ديفيد منذ دقيقتين.

قال أليكس وهو يضع قبعته على الأريكه:

- أوه ألم تحضرا معا؟

أجاب ديفيد وساندرا فى وقت واحد:

- كلا. كلا.

وخيم السكون على المكان ثم قالت ساندرا:

- هل اتصلت باتريشيا بك يا أليكس؟

- كلا.. لقد اتصل بى مايكل.. إنه شخص غريب الأطوار وغير واضح وعلاقتى به ليست وطيدة.. وكل ما أخبرنى به هو إنه يريد حضورى إلى هنا فى تمام الساعة السابعة لتناول الشراب وها أناذا قد أتيت ولم يحضر هو.

قال ديفيد وهو يتأمل ملابسه:

- إنك ترتدى ثيابًا كما لو إنك ستحضر حفلاً ملكيًا.

- نعم لقد كنت فى حفل موسيقى وظننت أننى سأجد الجميع هنا بملابس السهرة.

- هل أخبرك مايكل بذلك؟

- كلا كلا.. إنه أخبرنى إنها سهرة لتناول الشراب فقط. وأنا واثق أنه أراد الاحتفال بمناسبة ما.

كان أليكس يتحدث وهو يتجه نحو دولاب فى أحد الأركان ثم فتح الدولاب وهو يقول:

- أوه أرى هنا زجاجة شراب.. على أية حال أفضل من لا شئ.

وأخرج الزجاجة. فقال ديفيد: أظن أن مايكل أقام الحفل فى مكان آخر ونسى أن يخبرنا بتغيير مكان الحفل الجديد.

فقال أليكس: ولكن أليس غريبا أن ينسى إخطارنا بالمكان الجديد؟

ثم راح يصب الشراب فى الأقداح الثلاثة وهو يقول: لنشرب معًا شراب العابثين..

وشربوا الأقداح الثلاثة.

فقالت ساندرا وهى تضع قدحها على المائدة:

لقد أخبرتنى صديقتى جنيفر أن باتريشيا وزوجها ذهبا إلى فرنسا فلم أصدقها، ولكن يبدو وأنها قالت الحقيقة.

فصاح أليكس: أوه جنيفر برايس؟ هل كانت هنا؟

فقالت ساندرا: نعم جاءت لإطعام العصفور.

تقدم أليكس ناحيه العصفور وقال: إذن يبدو أننا وقعنا فى مصيدة نصبها لنا أحدهم وهو الذى اتصل بنا. ولكن لماذا؟

فقال ديفيد: ربما نصبوا لنا لغزا ضاحكًا لكى يسخروا، وربما وضعوا لنا علامات تدل على مكان الحفل الأصلى لاختبار ذكائنا أليس كذلك؟

وأردف قائلاً: إن الشقة مكتظة بالتحف والآثار الغربية.

وتناول فنجانًا من القهوة وراح يتأمله وهو يقول:

أظن أنه أحضر هذا الفنجان من بغداد.

- إنه قمئ يذكرنى بمنقار الصقر.

- نعم إنه يفتقد الإبداع والجمال وهو يشبه صقرًا شرسًا متوحشًا.. بل إن الشقة تخلو من الخيال وتفتقد اللمسة الفنية إنها عبارة عن جدران ملساء لا يوجد بها أى ديكور ضرورى. ما أبشع أن يجد الإنسان نفسه حبيسًا فى مكان حقير كهذا.

فقال ديفيد: لكننى أراها من وجهة نظرى شقة متطورة وعصرية وليس بها ما يثير الإزعاج.

- لأنك إنسان مرح ولا تميل إلى التشاؤم يا ديفيد.

انظر.. انظر إلى هذا.. إن هذا الصندوق يطلقون عليه فى دمشق (صندوق العروس). ثم تأمل هذا.

وتناول خنجرًا مقوسًا كان معلقًا على أحد الجدران وأردف يقول: أعتقد إنه خنجر كردى.. إنه سلاح رائع لقتل الزوجة الخائنة.. ولكنه ذو مقبض جميل أليس هذا صحيحًا يا ديفيد؟ خذه.. خذه.. انظر إليه جيدًا هل أنت خائف؟ إنه لن يجرحك.

تناول ديفيد الخنجر فى خوف ثم رده إلى آليكس وهو يقول:

إنه لخنجر رائع حقًا.

فقدم آليكس الخنجر إلي ساندرا قائلاً:

- إنه قطعة فنية.. أليس كذلك يا ساندرا؟

تناولت ساندرا الخنجر ثم ردته بسرعة وقالت:

- نعم نعم.. إنه رائع.

وفى التو ردت إليه الخنجر ثم راح ينظر من الشرفة وهو يقول: ومع ذلك فإن هذه الشقة كئيبة للغاية وراح يلتفت يمينًا ويسارًا فى الشرفة وسأل فى أى طابق نحن الآن؟

فأجابت ساندرا: إننا فى الطابق الخامس.

فقال: إنه من الطوابق التى تصلح للانتحار، إن الذى ينتحر من أعلى ربوة فى كورنوول.. أوه يا إلهى إن الخنجر قد سقط من يدى فى الشارع والحمد لله لم يقع على أى أحد من الناس.. ينبغى أن أتوجه لإحضاره فوراً وإذا وجدت حارس العقار فسوف...

فقاطعته ساندرا: لا أعتقد أن للعقار حارسًا.

فقال: سوف أرى ربما يعرف المكتب المجاور للعقار. أين ذهبت باتريشيا وزوجها؟

وأخذ قبعة كانت معلقة بجوار الباب وأسرع إلى الخارج.

فقال ديفيد موجهًا حديثه لساندرا:

- أرى إن من المناسب لنا أن نرحل الآن وفوراً.

فتناهت تلك الكلمات لآذان آليكس الذى عاد مهرولاً وهو يقول:

لماذا ستنصرفان.. ابقيا هنا وتناولا الشراب حتى أعود إليكم بعد أن أحضر الخنجر.

وأسرع مرة أخرى صوب الباب منطلقًا كالسهم دون أن ينتظر جوابًا من ديفيد الذى كظم غيظه وهو يقول:

- أراهن إن هذا الوغد سوف يعود مرة ثانية إنه أشهر قذر وبذئ وسليط لسان بين شباب البلد.

قالت ساندرا بعد أن وضعت قدح الشراب على المائدة:

- أتظن أنه أصيب بالدهشة حين رآنا هنا؟

- أعتقد وسوف ينشر خبر وجودنا معًا فى جميع أرجاء لندن.

- إذن ينبغى أن نسرع فى التصرف.

- كلا.. لا يجب أن نمشى الآن وإلا صدقه الناس، ولكن أخبرينى هل آليكس على علاقة جيدة بزوجك؟

فقالت ساندرا:

- إنها علاقة شكليه أما الشخص الذى يميل إليه آليكس أظنه (بارى) وهو زوجى الأول، وقد كان فى أشد الحزن والأسف حين مات بارى.

- تقصدين حين سقط زوجك من أعلى ربوة فى كورنوول؟

- نعم.

ولاذت بالصمت لحظات ثم قالت:

- إن الأزمة التى افتعلها آليكس أوحت للناس بأننى كنت أقف وراء سقوط زوجى من فوق الربوة.

تقدم ديفيد ناحيتها وهو يتفحص وجهها ثم قال:

- وهل فعلت ذلك حقًا؟

- ماذا تقصد؟

أجاب فى ضيق: أبدًا.. لا شئ.. لا شئ.

فأردفت: إننى نفسى كدت أسقط معه.

وشعرت بقشعريرة تسرى فى بدنها ثم قالت:

- كان الحادث رهيبًا وعنيفًا حين كانت الربوة تتفتت من حولنا من غزارة الأمطار التى هطلت علينا.

فعلق ديفيد وهو يضع يده على وجهه قائلاً:

- إذن إن آليكس يمقتك بشدة لهذا السبب.

- إنه إنسان حقير وشاذ ويمقت النساء جميعًا.

- لكنه يمقتك بوجه خاص آليس كذلك؟

- ماذا تقصد؟

أجاب وهو كمن يبدو سابحًا فى شروده وأفكاره:

- إننى أشعر إن آليكس هو الذى يقف وراء كل هذه الأحداث الغريبة.

- ولكن لماذا يفعل ذلك؟

- قد يفعل ذلك جنونًا لسوء سلوكه وشذوذ أفكاره، وها هو جمعنا هنا وألقى بالخنجر حتى يتعلل بالخروج لاسترداده ثم يخابر زوجك هاتفيًا لكى يحضر إلى هنا ويجدنا فى تلك الشقة بمفردنا.

- هذا تفسير منطقى ومعقول للغاية.

- إذن هيا بنا نخرج من هنا.

وتناولت حقيبتها ولحقت به صوب الباب وهى تقول:

- كم تمنيت أن أعرف ماذا يحدث لنا؟

وقبل أن يجيب ديفيد التفت نحوها فى دهشة وهو يقول:

- أوه هل رأيت؟

- ماذا يا ديفيد؟

- إن الباب مغلق بالمفتاح!

- لا أعتقد حاول ثانية.

حاول ديفيد مراراً بعصبية ولكن دون فائدة.

ثم راح يقول فى توتر:

- ربما أغلق أحدهم الباب بالمفتاح من الخارج؟

- أتقصد أنه قصد أن يحجزنا هنا؟

- ربما.. ربما يا حبيبتى.

- ولكن من الذى تتخيل أن يفعل بنا ذلك؟

- إنه أليكس.

- أليكس؟ ولماذا يتعمد أن يحجزنا هنا؟ على أية حال هذه ليست المشكلة.. نستطيع بشكل أو بآخر ان نفتح الباب أوحتى نصرخ.

وفتحت فمها وكادت أن تطلق صرخة مدوية غير أن ديفيد هرول نحوها، وقد وضع يده على فمها وقال وهو يتقدمها إلى أحد المقاعد:

- مهلا.. لا داعى لذلك.. ينبغى أن نتريث قليلاً أجلسى يا حبيبتى ودعينا نفكر فى هدوء.. فما من شك إن

الأمر برمته يدعو للدهشة والاستغراب.. يبدو أن أليكس أو اى رجل آخر دعاك إلى هنا باسم باتريشيا تورانس، وأخبرنى برسالة زاعماً إنها منك وعلى أية حال فإن هذا الوغد قد نجح فى خداعنا، وقد استدرجنا للمجئ إلى هنا حتى أغلق علينا باب الشقة.

- ولكن هذا عمل حقير ودنئ.. وفى مقدورنا أن نصرخ ونستغيث.

- نعم يمكننا ذلك.. ولكن ما نتيجة ذلك؟

وأردف قائلاً: سوف تحدثين فضيحة مدوية وسيقولون إننا استعرنا الشقة لممارسة الحب، وهى خطة دبرها أحد العابثين الماجنين الذى قام بإغلاق باب الشقة علينا.

- إذن يجب أن نتصرف فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل لنا.. دعنا نثر جلبة هائلة.. ونشرح بعد خروجنا أن الأمر لا يخرج عن المزاح والمداعبة.

فقال ديفيد فى سخط: اعلمى جيداً إن أية فضيحة فى هذا الشأن قد تطيح بمستقبلى وأنا لن أقبل ذلك. إن مركزى الاجتماعى لا يتحمل مثل هذه المهاترات.

صرخت ساندرا فى غضب:

- أوه.. أنت تشبه حيوانًا مفترسًا يعشق ذاته.. تفكر فى مركزك ووضعك الاجتماعى ولا تبالى بموقفى الخطير إذا أقبل زوجى إلى هنا ووجدنى معك... إنك تهدد سمعتى وتلوث شرفى.

فقال فى لهجة ساخرة:

- سمعتك؟ أية سمعة تلك التى تتحدثين عنها إن أحدًا لا يعرف أن لك سمعة طيبة.

ثارت ساندرا فى غضب وقد هوت يدها على خده وصفعته. فكظم ديفيد غيظه وقال:

- اهدئى.. ينبغى أن نفكر بهدوء وحكمة.. إن أليكس كان دائمًا يكرهنى وكنت أشعر بهذا العداء منه دائمًا.. ولنفرض أنه تمكن من إقناع جون بأننى..

كان ديفيد يتحدث وهو يجوب الشقة، وأثناء سيره بها وقعت عيناه على الصندوق الأسود فتوقف عن الكلام وجثا على الأرض ووضع إصبعه على الأرض ثم رفعه ونظر إليه وهو يقول:

- أوه.. ذرات من الخشب.. من أين جاءت؟ آه.. هذا ثقب فى الصندوق.. بل أربعة ثقوب.. يا إلهى إنها ثقبت حديثًا كأن الذى ثقبها قصد أن يتنفس منها أحد الأشخاص..

فنهضت ساندرا من مقعدها وقالت فى هلع:

- ماذا تقصد يا ديفيد؟

- ربما نجح أليكس فى إقناع زوجك أن يختبئ فى هذا الصندوق حتى يتجسس علينا دون أن نراه.

- إذن أنت تقصد أن جون نائم فى هذا الصندوق الآن؟

- هذا أمر لا يحتمل الشك.

وراح ديفيد يمد يده ناحية الصندوق بينما كانت ساندرا تلاحقه بنظراتها وقلبها ينفطر خوفًا من المجهول الذى ينتظرها داخل الصندوق.. وفتح ديفيد الصندوق وإذا به يتجمد مكانه وعاد ينظر مرة أخرى حتى هرب لونه وتسمر بصره مذهولاً. ثم صاح:

- أوه.. رباه.

كانت ساندرا قد أخذ منها الرعب نصيبًا وافرًا حيث تجمدت الدماء فى جسدها وكأنها ماتت منذ زمن حتى بات جسدها وكأنه تخشب. ثم وجدت نفسها تقول وكأنها تصرخ:

- ماذا؟ ماذا حدث؟ ماذا وجدت فى داخل الصندوق؟

- كـلا كـلا.. لا داعى للاقتـراب.. لا داعى لـلنظر أرجوك.

ثم نهض ديفيد من مكانه وهرع إلى أقرب مقعد ثم استوى عليه وراح يقول:

- ابتعدى.. ابتعدى يا ساندرا.

- ماذا حدث يا ديفيد؟

- تعـالى اجلسى. ولنتـحـدث بصـوت هادئ ولا داعى للصـياح.. نحن فى حـاجـة إلى التحلى بالحكمة والعـقل وصفاء الذهن وقدر وافٍ من الشجاعة.

- ولكن حدثنى عما رأيت داخل الصندوق؟

- إنه زوجك داخل الصندوق حقًا.. ولكن جثة هامدة.

* * * * *

(٣)

هتفت ساندرا فى ذهول بعد أن احتقن وجهها وتلون.

- أوه ماذا تقول يا ديفيد؟ مستحيل!!

ثم غمغمت بكلمات غـامضة وغابت عن الوعى، وحاول ديفيد أن يوقظها من سباتهـا لتنتبه لما يدور من حولها، وحتى يستطيع بمشاركتها تدبير الأمر فى هدوء.

وأخيراً تنبهت ساندرا ثم صرخت مرة أخرى:

- تقول جثة هامدة؟ جثة هامدة؟!

- إنه مقتول.. فهل قمتِ بقتله؟

- أنا؟ ماذا تقصد بهذا الهراء؟

- أنت يا ساندرا جئت قبلى إلى هنا.. ثم أخبرتنى هاتفيًا أن أحضر إلى هنا..

قاطعته وهى تقول فى دهشة:

- لماذا؟ لماذا أقتله فى هذه الشـقة الغـريبـة وأبعث إليك للمجئ إلى هنا؟

- لأنك تريدين أن أكـون بجـانبك يا عـزيزتى.. ثم هل نسيت أنك رغبت فى طلب الطلاق من زوجك؟ وحين تبين

لك أن الأمر سوف يطول أمره فكرت فى التخلص منه توفيراً للوقت والنفقات المادية أيضاً حتى أستطيع أن أتزوج منك فى أقرب وقت أليس كذلك يا ساندرا؟

- أوه كم أنت خنزير وغبى أحمق.. كيف سمحت لخيالك أن يتصور أننى أرتكب جريمة قتل كهذه من أجل أن أتزوجك؟ هل أصابك مس؟

- كلا.. ولكنك تصورت أنك ستهربين من العقاب حيث إنه مقتول فى شقة غريبة وأصحابها فى خارج البلاد والعمارة لا حارس لها.. وسكانها يجهلوننا ولا يعرفون من نحن ومن أين أتينا؟

فقالت ساندرا فى هدوء:

- فى تقديرى أستطيع أن أوجه نفس الاتهام إليك.. لنفرض أنك جئت إلى هنا، ثم قابلت زوجى وقتلته وحشرته فى الصندوق وانصرفت، ثم وقفت تراقب العمارة حتى جئت أنا فلحقت بى بعد دقائق.

- بريك يا ساندرا.. توقفى عن هذا الهراء أنت إنسانة شديدة الغباء.

ثارت ساندرا وهاجت وقالت:

- لقد كشفت حقيقتك ونزعت القناع عن وجهك القبيح والحقيقة إنك حقير وجبان ومخادع تجيد الحديث العذب لإيهام الآخرين بأنك شخص مثالى.

- إنك ذات سمعة سيئة يعرفها الجميع.

- يا لك من خنزير وغبى..

وظل ديفيد وساندرا يتبادلان الشتائم والسباب والأوصاف اللاذعة بضع دقائق حتى رن جرس الهاتف فجأة فقطع حوارهما البذئ، وعاد الرعب يفيض منهما، وقد نظر كل منهما إلى الآخر فى هلع وقالت ساندرا فى رعب:

- ديفيد.. ترى من المتحدث؟

- لا أعرف.

- هل أتناول السماعة؟

- ليس من المنطق أن نرد على أحد الآن؟

- قد يكون أليكس يهاتفنا من مكتب العمارة المجاورة

ونهض ديفيد ومد يده ناحية الهاتف لكنها صاحت فى رعب:

- كلا كلا..

فجذب يده بقوة قائلاً:

- أوه أنا لا أعرف كيف أتصرف؟ الأمر يضاعف من حيرتى.

وظل ديفيد مكانه برهة من الوقت، ثم قرر أن يرفع السماعة إلا أن رنين الهاتف توقف بينما استمر العرق يتصبب على وجه ديفيد بغزارة.

قالت ساندرا:

ماذا سيظن أليكس إذا فرضنا إنه الذى اتصل بنا؟

- إذا كان هو فسوف يصعد إلينا ليطلع على الأمر، وإن كنت أظن إنه وغد لن يفعل ذلك.

- إذن من يكون بربك يا ديفيد؟

صرخ فى استياء:

- لا أعرف لا أعرف.. دعينى أفكر.. ينبغى أن ندبر أمرنا.. إن أحدهم استدرجنا إلى هنا.. وقد استدرج جون من قبل أن نأتى وأغلق علينا الباب.. إنه أليكس ولا أحد يستطيع أن يفعل ذلك غيره.. اللعنة.. اللعنة.

وتقدم ديفيد ناحية الصندوق وفتحه مرة أخرى، ثم أغلقه ومضى إلى شرفة الشقة فصاحت ساندرا، وقد بدا عليها الانهيار:

- ماذا تفعل؟

- هل تذكرين الخنجر الذى سقط من يد أليكس؟

ألم يزعم أمامنا أنه ذهب لالتقاطه بعد سقوطه على الأرض؟

- نعم.

- إن الخنجر مازال فى مكانه لم يلتقطه هذا الوغد؟

- ماذا تقصد؟

- إنك غبية.. لقد قتل جون بهذا الخنجر.

وبدأت المعالم تتضح أمامهما بعد أن تلاشى ضبابها الكثيف.

صرخت في يأس وقالت:

- لا أفهم شيئًا مما تقول.. إننى على وشك الجنون.

- هو.. اليكس لا أحد غيره هو الذى نسج خيوط تلك المؤامرة.

- وما دليلك على إنه هو القاتل؟

- أظن أنه أقنع زوجك بالاختباء وانصاع جون لفكرته، ثم دخل الصندوق فانقض اليكس عليه بالخنجر وأرداه قتيلاً مضرجًا فى دمائه، ثم أرسل يدعونا للمجئ إلى هنا، ثم ألم

تلاحظنى؟ إنه أصر على أن نمسك بمقبض الخنجر بينما كان يرتدى قفازا طوال الوقت.. لقد كان يهدف إلى أن تلتصق بصماتنا على مقبض الخنجر وهو الأمر الذى نجح فيه وللأسف فنحن عجزنا حتى الآن عن تدبير الأمر لأننا رهن الاحتجاز فى شقة مغلقة مع جثة رجل مقتول ولا شك إننا أصحاب مصلحة فى قتله.

- إن هذا هراء وجنون.

- إن بصماتك وبصماتى على الخنجر وبالطبع لا توجد بصمات أخرى على المقبض والحل المناسب هو أن ننتظر قدوم رجال الشرطة.

فعلقت وهى تنهض من مكانها والهلع يتملكها:

- أوه رجال الشرطة؟! ولكن لماذا يأتون؟

- أتجهلين أن هذه هى الخطوة القادمة فى خطة الملعون أليكس؟

- إنه مجنون.. مجنون.. لماذا يفعل بنا هذا؟

- ساندرا ألم تخبرينى أنه كان حزينًا على موت زوجك الأول؟

- نعم ولكن ما علاقة ذلك بزوجى جون؟

فقال وهو يقترب منها:

- ساندرا صارحينى بصدق هل دفعت زوجك من فوق الربوة؟

- كلا طبعاً.. أخبرتك يا ديفيد إننى كدت أن أهوى معه

أمسك ديفيد بكتفيها بقوة وقال:

- اسمعينى جيداً يا ساندارا.. أنا لا أبالى بما إذا كنت قد دفعت زوجك من فوق الربوة أم لا،ولكن الشفافية والصراحة لا شك ستساعدنى على تحديد ومعرفة أهداف أليكس فيما يفعله الآن،ولذلك أرى أنك كنت تعشقين جون قبل أن يموت زوجك الأول..وكان جون شاباً ساذجاً يتحلى بالطيبة ودماثة الخلق ولكنه كان فقيراً معدماً.. أما زوجك الأول فكان واسع الثراء، ولهذا لم تكن فكرة الطلاق تلائمك لأنها بالطبع ستفقدك ثروة المسكين زوجك.. واتفق أنك وبارى صعدتما إلى قمة الجبل.. ثم حدث الانهيار بسبب الأمطار.. وهنا اكتشفت أن الفرصة سانحة.. فدفعت زوجك فهوى إلى الأعماق.. أليس هذا هو ما حدث بالفعل؟

وعاد يهز كتفيها بعنف وهو يصيح:

- أليس هذا هو ما حدث؟ تكلمى.. صارحينى.

وأمام صرخاته هزت رأسها بالإيجاب على ما يقول وهنا ترك كتفيها وقال:

- إذن أليكس علم بكل هذه الحقائق.

- وكيف استطاع معرفة ذلك؟

- إن أليكس يتحلى بالعبقرية فقد انتظر حتى علم إنك على علاقة برجل آخر ووجد ضالته فى الانتقام منى ومنك ومن زوجك جون وعلى أية حال نحن فى أشد الحاجة لكى نفكر بهدوء.

- أظن إن أهم شئ الآن هو أن نغادر هذا المكان.

- طبعًا طبعًا.. يجب مغادرته.. ولكن كيف؟

- نستغيث أو ندق الباب بعنف لعل أحد السكان يسمعنا.

- وما الفائدة؟ سوف يفتحون لنا الباب وسيدخلون لإطلاق سراحنا، ثم يعثرون على جثة زوجك جون ولا تنسى انك أخبرت جنيفير إنك فى انتظار قدوم جون.

- نستطيع أن نشرح لهم حقيقة الأمر..

- أيتها الغبية الحمقاء.. إن أليكس لم يترك بصماته على المكان، ولا شك إنه أعد خطته بدقة، ودبر كل شئ خاصة أن يكون موجودًا فى مكان آخر وقت ارتكاب الجريمة.

- من المؤكد أن أحد الناس قد رآه وهو قادم أو وهو ينصرف من هذا المكان.

- فى هذا الشارع الهادئ؟ إننى أشك.

ضرب جبينه بيده وصاح:

- رباه.. الا يوجد حل لهذه الورطة؟

وانطلق إلى الشرفة وأطل منها.. وعاد واليأس يكاد يعصف به. وقال:

- إنها شاهقة الارتفاع والقفز منها انتحار.

ثم أردف: الا يوجد هنا سلم للطوارئ؟

- يوجد سلم ولكن لا يمكن الوصول إليه إلابواسطة باب صغير بجانب الشقة.

فصاح وهو يضرب المائدة بعنف:

- من المؤكد إن هناك طريقة للخروج.

صرخت ساندرا وقالت:

- التليفون.. بمقدرونا أن نتصل بأحد الأصدقاء.

فصاح ديفيد:

- رباه.. كيف نسيت التليفون؟ ثم من الذى ستتصل به؟

وارتمى على الأريكة والعرق يتصبب بغزارة، وعاد كل

منهما ينظر إلى الآخر. ورن جرس التليفون وعاد الخوف يدب فى أوصالها وقالت:

- أجب بربك فإننا فى مأزق وقد يكون هذا طوق نجاة.

- نعم نعم.. هذا صحيح.

وأمسك بالسماعة وصاح:

- نعم آلو..

وظل يسمع فى ذهول ثم عاد يقول:

- إنه أليكس.

ثم عاد يسمع ما يردده أليكس حتى انتهت المكالمة، وارتمى مرة أخرى على الأريكة فى يأس فصرخت ساندرا:

- ماذا أخبرك هذا المجنون؟

- قال إننا كالفئران فى المصيدة وإن البوليس فى طريقه إلينا بعد ثلاث دقائق.

- البوليس.. كلا كلا.. يجب أن نخرج من هنا.

شعرت ساندرا بأن الأرض تدور تحت قدميها.

- هناك وسيلة لا مفر منها.

- ما هى؟

- القفز من الشرفة.

- تقصد الانتحار؟ هل أصابك الجنون؟ إنهم سيصرفوننا إذا أخبرناهم بالحقيقة.

- بل سيوجهون إلينا تهمة القتل وسيحكمون علينا بالسجن.

- لكننى لم أقتل جون.. أنت الذى أخطأت.. لماذا وقفت فى طريقى..؟ لماذا لم تتركنى وشأنى؟ أوه ليتنى لم ألتقِ بك أبداً.

- أيتها الفاجرة.. أنا ضحية سوء أخلاقك.

- إننى اكرهك.. هل فهمت؟ إننى اكرهك أيها الحقير الانتهازى الأنانى.

ثار ديفيد وهاج وماج، ودفعها بيده فوقعت على الأريكة وهم أن يقبض عنقها بكلتا يديه، ثم توقف حين دق باب الشقة بقوة وسمع صوت فى الخارج يقول:

- افتحوا الباب.. بوليس.. بوليس.

فنهض ديفيد واقفاً.. ونظر إلى ساندرا فى تهكم وقال:

- انتهى كل شئ للأبد.. إنك نجوت من القصاص من أول مرة. لكنك لن تفلتى منه هذه المرة.

وتكرر الصوت مرة أخرى.

- بوليس.. افتحوا.

رمقت ساندرا ديفيد بنظرة تحمل احتقاراً وازدراءً لا حدود لهما وقالت:

- إننى أكرهك.

فقال بلهجة قاسية:

- هل تعرفين جزاء القاتل؟ إنه الإعدام شنقًا وربما السجن خمسة عشر عامًا..

وعاد رجال البوليس يدقون الباب بعنف.

وهنا علا صوت رجل الشرطة قائلاً:

- سنحطم الباب.

فقال ديفيد:

إنهم لا يريدوننى.. بل يبحثون عنك. أنت قاتلة بارى.. لا أنا.. ولا علاقة لى بما تعرض له بارى.. لماذا سيزجون بى فى الموضوع؟

مرة أخرى عاد الطرق بعنف على باب الشقة وأطلقت ساندرا ضحكات هسترية وغمغمت تقول فى هذيان:

- نحن بالفعل كالفئران فى المصيدة.. نعم صدق أليكس.. فنحن كالفئران فى المصيدة.

ها..ها.. ها.. ها..

«شقة بالدور الثالث»

(١)

صرخت باتريشيا فى غيظ وألم:

- أوه اللعنة.. إننى لا أجده.

وراحت تفتش فى داخل حقيبتها الصغيرة بتوتر وعصبية بينما راح شابان وفتاة أخرى ينظرون إليها فى قلق وهم يرقبون نتيجة البحث حتى كاد الصبر أن ينفد منهما، كانوا جميعًا يقفون أمام شقة باتريشيا بينما كان باب الشقة مغلقًا وهى تفتش دون جدوى عن المفتاح، وحين ضاقت ذرعًا واستبد بها اليأس صاحت تقول:

- أرى إنه لا فائدة من البحث عنه إنه ليس فى حقيبتى ولكن ماذا سنفعل الآن؟

تقدم أحد الشابين ويدعى جيمى فوكنر قائلاً:

- أوه ما أبشع الحياة إذا كانت الشقة بلا مفتاح.

جيمى كان شابًا بدينًا عريض الكتفين قصير القامة ذا عينين زرقاوين صافيتين، وحين سمعت باتريشيا ماردده صاحت فى وجهه تقول:

- إن هذا الوقت غير ملائم للفكاهة والمزاح.. إننا فى موقف عسير يدعو للأسف والأسى.

وقال الشاب الآخر ويدعى دنوفان بايلى:

- ابحثى فى حقيبتك بهدوء مرة أخرى.. وسوف تعثرين عليه فى مكانٍ ما.

قالها بصوت خافض خامل.. يناسب قامته الفارعة ونظراته الناعمة.

فقالت الفتاة الأخرى وتدعى ملدريد هوب:

- هل أنت متأكدة إنك أخذته معك يا باتريشيا؟

- طبعا أنا على ثقة وربما أكون قد أعطيته لأحدكما.

والتفتت إلى الشابين وألقت بنظرات لا تخلو من الاتهام ثم أردفت:

- أذكر أننى طلبت من دونافان أن يأخذه.

ولكن لم يكن الاتهام يسيراً على دونافان الذى استشاط غضباً وأنكر بشدة نافياً حصوله على المفتاح، وقد تصدى جيمى لاتهامها قائلاً:

- ماذا دهاك يا باتريشيا؟ إننى لاحظت أنك وضعتيه فى داخل حقيبتك الحريرية.

فقالت باتريشيا: يبدو أنه سقط من أحدكما عندما التقطتما حقيبتى، فقد سقطت منى أكثر من ثلاث مرات.

فقال دونافان ساخراً:

- ثلاث مرات؟! لقد سقطت منك أكثر من عشر مرات ثم إنك نسيتها فى كل مناسبة.

وقال جيمى:

- إننى فى دهشة كيف لم تسقط محتويات الحقيبة؟ أليست معجزة أن يسقط منها المفتاح فقط؟!

فقالت ملدريد:

- على أية حال كيف سندخل الشقة؟

كانت ملدريد فتاة رزينة هادئة، ولكن لا تتمتع بجاذبية باتريشيا وجمالها الساحر.

ونظر الشبان الأربعة إلى الباب المغلق وقال جيمى:

- ألا يمكن للبواب أن يساعدنا؟

- هل يوجد لديه مفتاح إضافى؟

فهزت باتريشيا رأسها وقالت: إن الشقة لها مفتاح واحد فقط معى، أما الآخر فهو معلق على جدار المطبخ.

ثم أردفت قائلة:

- أوه لو كانت الشقة فى الطابق الأرضى لكنت قد تمكنت من تحطيم إحدى النوافذ بشكل أو بآخر.. اسمعنى يا دونافان ألا يمكنك تسلق المواسير كلصوص الفنادق؟

ومن جانبه رفض دونافان أن يفعل ما يقوم به هؤلاء اللصوص.

فقال جيمى: من العسير الوصول إلى الطابق الرابع بواسطة المواسير.

فقال دونافان:

- هل يوجد سلم للحريق؟

- كلا.

- إنه خطأ.. عمارة تتكون من خمسة طوابق كان ينبغى أن يكون بها سلم حريق.

فقالت باتريشيا:

- لا داعى لكلمة ينبغى الآن.. إن التمنى لا يفيد، يا إلهى ألا توجد وسيلة أتسلل بها لشقتى؟

فقال دونافان:

ألا يوجد مصعد ولو لإرسال البضائع؟

صاحت باتريشيا:

- آه.. نعم لدينا صندوق يتحرك على أسلاك مفتولة لنقل الفحم إلى الطوابق الشاهقة.

فقال جيمى:

- إذن هذا هو الحل الأمثل.

فقالت ملدريد:

- لنفرض أن باب المطبخ كان مغلقًا بالمزلاج من داخل الشقة.

فقال دونافان:

- لا أظن ذلك أبدًا.

وقال جيمى:

- إن باتريشيا لا تغلق الأبواب بالمزاليج.

قالت باتريشيا:

- كلا.. لا أظننى أغلقت الباب من الداخل لقد أخرجت صندوق القمامة فى الصباح.. ولكنى واثقة من أننى لم أغلق الباب بالمزلاج.

فقال دونافان:

- إذا كان ذلك كذلك فإن هذه المعلومة فى غاية الأهمية.. إن إهمال المزلاج سوف يدفع اللصوص لمهاجمتك من حين لآخر.

وظلت باتريشيا تتصبب عرقًا ولا تستطيع أن تكظم غيظها ولا تبالى بما تسمعه من إشارات ونصائح ثم صاحت فجأة وقالت:

- هيا بنا.

وهرولت ناحية السلم وتبعها الآخرون دون إبطاء.

* * * * *

(٢)

تقدمت باتريشيا رفاقها الثلاثة فى ممر شديد الظلام يؤدى إلى منور العمارة، وعثروا على المصعد المستخدم فى عمليات نقل الفحم، وكان به صندوق قمامة فتطوع دونافان ووقف مكانه قائلاً:

- أوه ماذا يعنى ذلك؟ هل سأتقدم بمفردى؟ ألن يشاركنى أحدكم فى تلك المغامرة؟

فقال جيمى: سأذهب معك.

ووقف بجوار دونافان وقال فى خوف:

- لا أظن أن المصعد سيتحملنا.

فقالت باتريشيا وكأنها خبير فى حسابات الأوزان.

- أتعتقد إنكما أثقل وزنًا من طن من الفحم.

فقال دونافان فى مرح:

- هذا ما سوف نعرفه الآن على أية حال.

أثناء ذلك راح دونافان يجذب السلك المفتول وتحرك المصعد بصوت مسموع لكنه سرعان ما اختفى فى الظلمات وقال جيمى فى نبرة أسف:

- إنه يثير صوتاً يصم الآذان.. ترى ماذا سيقول عنا سكان تلك العمارة؟

فقال دونافان:

- سيظنون إننا لصوص أو عفاريت.. إن شد هذه السلك إنما هو عملية مرهقة للغاية.. مسكين بواب العمارة.. لم أكن أتوقع أنه يقوم بهذه العلمية.. أوه جيمى هل أحصيت عدد الطوابق التى مررنا عليها؟

- كلا.. رباه.. لقد نسيت.

- لا عليك أنا أحصيت عددها على أية حال.. فنحن الآن أمام الطابق الثالث.

- ولكن لنفرض أننا وجدنا باب المطبخ مغلقاً فماذا سنفعل؟

وقبل أن يتلقى جواباً لاحظ إن باب المطبخ من السهل أن يدفعه أحدهم بيده لفتحه، وهو ما حدث فعلاً ودخل الشابان المطبخ المظلم.

وقال دونافان:

- أوه لقد نسينا أن نحمل معنا بطارية إضاءة.. إن باتريشيا مهملة للغاية وربما ستتعثر فى العديد من الأطباق

والأكواب الفارغة قبل أن نصل إلى مفتاح الكهرباء.. قف مكانك يا جيمى ولا تتحرك قبل أن أضئ الكهرباء.

وأدار مفتاح الكهرباء ولكنه صرخ فى فزع قائلاً:

- يا إلهى!!

سأله جيمى: ماذا جرى لك يا دونافان.

فقال: المصباح يبدو أنه معطل.. ولكن تريث قليلاً سأذهب لإضاءة كهرباء قاعة الاستقبال.

كانت قاعة الاستقبال تقع عند نهاية الدهليز المقابل للمطبخ مباشرة وترامى لأذان جيمى صوت أقدم دونافان وهو يتبعه فى الدهليز، وقد سمعه يسب ويلعن واعتقد أنه قد تعثر فى شئ فراح يمضى فى طريقه ناحية المطبخ.. وعاد زميله يسأله فى لهفة:

- ماذا حدث؟

فأجاب دونافان:

- لا أعلم.. إن جميع الغرف مظلمة وما أبشع الظلام كل شئ لا يوجد فى مكانه.. ها هى المقاعد والموائد إننى لا أعرف كيف أشق طريقى أمام هذه الفوضى؟

أما جيمى فقد لحق به وكان أسعد منه حظاً لأنه بلغ موضع مفتاح الكهرباء فأضاءه ليتبدد الظلام الدامس.

فى تلك الأثناء كان الشابان قد تبادلا نظرات ذعر وهلع فقد اكتشفا إن الشقة ليست هى المقصودة بل كانت شقة أخرى غير شقة باتريشيا.

لقد لاحظا إن أثاث الشقة أكثر عشر مرات من أثاث شقة قاعة باتريشيا وذلك يفسر سر حيرة دونافان وتخبطه بين المقاعد والموائد.

وكما كانت توجد مائدة كبيرة وسط القاعة لا يوجد مثلها فى قاعة باتريشيا وعليها غطاء من القطيفة الحمراء.

تأمل الشابان المائدة فى فزع وإلى حزمه هائلة من الرسائل فوقها.. ثم مد جيمى يده وتناول رسالة منها وقرأ عنوانها بصوت عال:

(مسز أرنستين جرانت).

ثم رد الرسالة إلى مكانها على المائدة وغمغم قائلاً:

- أوه.. أتعتقد أنها سمعتنا؟

- ليتها نائمة فلو إنها سمعتنا لأمسكت بتلابيبنا وفضحت أمرنا.. هلا أطفأنا النور واتجهنا إلى المصعد مرة أخرى.

وتنفس جيمى الصعداء حينما وجد نفسه داخل المصعد ثم راح يقول وهو يبتسم:

- ما أروع المرأة التى تنام نومًا ثقيلاً كمسز أرنستين جرانت.

أجاب دونافان وهو يشد السلك ليعلو بهما المصعد إلى الطابق الرابع:

- الآن أدركت سبب خطأنا فى تحديد طابق باتريشيا لقد بدأت رحلتنا من القبو.

- أتمنى الا نخطئ مرة أخرى حيث إننى لا أتحمل مثل هذه الأزمات المفاجئة.

وبالفعل مضت الأمور بسلام حيث نجحا فى الوصول إلى مطبخ باتريشيا، وتسللا إلى قاعة الاستقبال، وأضاء مفتاح الكهرباء وسرعان ما قام أحدهم بفتح باب الشقة لباتريشيا وصديقتها وقد صرخت باتريشيا فى ضيق:

- لماذا تأخرتما كل هذا الوقت..؟

فقال دونافان:

- ما أبشع المغامرة.. لقد كان من الممكن أن نقع فى أيدى رجال الشرطة وكأننا لصوص فنادق.

وتقدمت باتريشيا إلى قاعة الاستقبال، وقد ألقت بحقيبة يدها على أحد المقاعد، واستوت على الأريكة وهى تسمع تفاصيل المغامرة من دونافان.

ثم قالت بعدها:

- كم أنا سعيدة لنجاتكما من هذا المأزق.. إنها عجوز متوترة الأعصاب.. لقد أرسلت لى رسالة هذا الصباح تريد مقابلتى لأمر هام ربما أرادت أن تشكو من صوت الموسيقى الصاخب ماذا أصابك يا دونافان؟ هل أصيبت يداك بجرح؟ أوه إنها ملوثة بالدم؟ هيا.. هيا أسرع إلى الحمام واعتنِ بغسلها

شعر دونافان بالخوف وهرول إلى الحمام وسرعان ما صاح دونافان مخاطباً جيمى الذى صاح بدوره قائلاً: ماذا حدث لك؟ هل الجرح خطير؟

وأسرع ناحية صديقه فى هلع فوجد دونافان يقول: غريبة يا جيمى.. إننى لم أصب بجرح كما ترى أو حتي خدش!!

واستطرد دونافان يقول: والسؤال الذى يلح على خاطرى من أين جاء هذا الدم؟

ثم أجاب بصوت مسموع: يبدو أننى أصبت من تلك الشقة.

ثم ساد بينهما صمت طويل حتى سأله جيمى:

- هل أنت متأكد إنه دم وليس طلاءاً أو مسحوقاً؟

فهز دونافان رأسه قائلاً:

- نعم إنها دماء.

أحس الشابان بقشعريرة تسللت إليهما وخوف تملك كل منهما، قطعه جيمى بقوله:

- ما رأيك إذا عدنا إلى الشقة مرة أخرى لنطلع على الأمر ونتأكد إن كل شئ بداخلها على ما يرام.

- وماذا عن باتريشيا وصديقتها؟

- لا عليك سنخبرها بأى سبب للخروج، على أن نعود على جناح السرعة قبل أن تفرغ من إعداد الطعام.

فقال دونافان: هيا بنا وإن كنت واثقاً إن كل شئ فى تلك الشقة على ما يرام.

* * * * *

(٣)

عاد الشابان مرة أخرى للمصعد، وهبط بهما إلى الطابق الثالث، وشقا طريقهما فى المطبخ دون مشقة، وأضاء أحدهما الكهرباء، وقال دونافان: لابد أن يدى تلطخت بالدم هنا فأنا لم أرَ شيئًا فى المطبخ.

والتفت الشابان يمينًا ويسارا ولاحظا إن الشقة فى أبهى صورها فقد كانت نظيفة وأنيقة ومرتبة بعناية، ولا يوجد بها ما يدل على وقوع جريمة أو أى شئ يدعو للدهشة.

وفجأة أحس جيمى بالدهشة، وقد استند على دونافان قائلاً فى خوف:

- انظر.

ونظر دونافان إلى ما أراد جيمى، وانبعثت منه صرخة حيث شاهدا معًا قدم امرأة تتحرك بحذاء من الجلد خلف الستار.

وهرول جيمى ناحية الستار وجذبه بحدة حتى وجد أمامه امرأة ممددة سابحة فى دمائها، كانت المرأة بالطبع قد لفظت أنفاسها وحاول جيمى أن يرفعها حتى صاح دونافان فى وجهه:

- لا تفعل شيئاً حتى يأتى رجال الشرطة يا جيمى.

- رجال الشرطة؟ أوه يا لها من جريمة شنعاء ترى من هى هذه المرأة يا دونافان؟ أتظن إنها مسز أرنستين جرانت؟

- لا أعرف ولكن علينا أن نستدعى رجال الشرطة.

- هيا إذن نستدع رجال الشرطة من تليفون باتريشيا أم نخرج إلى الشارع لاستدعاء أحدهم.. على أية حال دعنا نخرج من الباب فلا داعى لاستخدام هذا المشئوم.

وقال جيمى وهو يقف على باب الشقة:

- أليس واجباً أن ينتظر أحدنا حتى يتولى الأخر مهمة استدعاء رجال الشرطة؟

فأجاب دونافان: هذا كلام منطقى انتظر أنت هنا، وسوف أصعد إلى شقة باتريشيا لاستدعاء الشرطة.

قال ذلك وهو يهرول إلى الطابق الرابع، وقد دق جرس الباب بعنف ففتحته باتريشيا.

كانت باتريشيا فاتنة جميلة رائعة، وقد صاحت فى دهشة:

- أنت يا دونافان؟ هل حدث شئ؟

فأمسك بيدها قائلاً:

- كل شئ على ما يرام.. غاية ما فى الأمر إننا وجدنا جثة امرأة ميتة فى الطابق الثالث.

- يا إلهى هل تعرضت لذبحة صدرية أم ماذا؟

- كلا.. إنها غارقة فى بركة من الدماء.

أمسكت باتريشيا بيديه وكادت أن تضمه إلى صدرها وأحس دونافان أنها تحبه، وقد كان يساوره الشك إنها تحب جيمى فوكز، وهنا تذكر أن جيمى ينتظره فى الطابق الثالث على أحر من الجمر فقال:

- يجب أن تتصلى بالشرطة باتريشيا.

وفجأة تسلل صوت يقول لها:

- إن هذا الشاب على حق يا سيدتى وحتى يأتى رجال الشرطة أرجو أن تفسحوا لى المجال لتقديم العون.

كان دونافان وباتريشيا يقفان على باب الشقة وقد بحثا عن مصدر الصوت حتى وجدا أمامهما رجلاً قصير القامة كثيف الشارب رأسه تشبه البيضة، وانحنى الرجل لباتريشيا فى أدب شديد. وقال: إننى يا سيدتى قد لا تعرفينى إننى أقيم فى الشقة التى تعلو شقتك، وقد قمت باستئجارها باسم أوكونور والواقع إن هذا ليس اسمى بل إن لى اسماً آخر وربما لهذا السبب أسرعت لخدمتك.

قال ذلك وقد أخرج من جيبه بطاقة قدمها لها.

وصاحت تقول: أوه مستر هيركيول بوارو.. مستر بوارو البولس السرى المعروف؟ هل ستقدم لنا يد العون؟

- هذا ما أنوى عمله.. لقد كدت أقدم لك خدماتى من قبل.

فتأملته فى دهشة.. وقال:

- إننى سمعت حديثكم عن المفتاح الضائع.. ومناقشتكم فى كيفية الدخول إليها. وكنت سأعرض عليك خدماتى لولا إننى خشيت أن تفرطى فى سوء الظن بشخصى.

انفجرت باتريشيا ضاحكة واستدار بوارو ناحية دونافان وهو يقول: الآن اذهب أيها الشاب للاتصال بالشرطة أما أنا فسوف أهبط إلى الطابق الثالث.

رافقته باتريشيا ووجدا جيمى فى انتظار دونافان فقد قامت باتريشيا بمهمة التعارف بينهما، وراح جيمى يروى تفاصيل القصة لبوارو الذى علق قائلاً:

- تقول إن باب المطبخ لم يكن مغلقًا وإنكما تسللتما إلى المطبخ وحاولتما إضاءة الكهرباء ولكنها لم تضئ؟

- نعم هذا هو ما حدث بالضبط.

كان بوارو يتجه ناحية المطبخ فلما وصل إليه أدار مفتاح

الكهرباء فأضاء المصباح. وصاح: أوه ها هو قد أضاء فلماذا أضاء الآن؟

ولم يكمل عبارته ووضع إصبعه على فمه ثم همس:

- سكوت.

وأرهف السمع.

كان هناك صوت واضح فهتف بوارو قائلاً:

- آه.. هيا بنا إلى غرفة الخدم.

وشق طريقه إلى المطبخ على أطراف قدميه.. ومشى فى دهليز غير طويل يؤدى إلى باب ففتحه وأضاء النور.

ورأى أمامه غرفة صغيرة وجد بها فراشًا صغيرًا واحدًا.. وعلى الفراش تمددت فتاة جميلة الوجه تغط فى نوم عميق وتصدر من أنفها وفمها أصوات تثير الإزعاج.

فقال بوارو وهو يطفئ النور:

- إنها لن تستيقظ الآن.. دعوها نائمة لحين وصول الشرطة.

وعادوا جميعًا إلى قاعة الاستقبال، وقد لحق بهم دونافان.

قال وهو يلهث:

- إن الشرطة سوف تحضر حالاً.. هكذا أخبرونى.. وطلبوا ألا نقترب أو نمس أى شئ لحين وصولهم.

فعلق بوارو: لن نمس أى شئ ولكننا سنتأمل فقط.

وراح يجوب الغرفة. كانت ملدريد قد أقبلت مع دونافان.. وراح الشبان الأربعة يرقبونه فى فضول.

وقال دونافان: إن الأمر الذى لم أتمكن حتى الآن من فهمه هو كيف تلوثت يدى بالدماء رغم أننى لم أقترب إطلاقًا من الستار حيث تتمدد الجثة؟

فأجاب بوارو: اسمع يا عزيزى الشاب.. إن الجواب واضح وضوح الشمس.. ما هو لون غطاء المائدة؟ إن لونه أحمر أليس كذلك؟ مما لا شك فيه أنك قد وضعت يدك على المائدة؟

- نعم حدث ذلك.. ولكن.

وقاطعه بوارو وبإشاره منه حيث بسط يده على المائدة وأشار إلى بقعة داكنه فى الغطاء الأحمر وقال:

- هنا ارتكبت الجريمة ثم نقلت الجثة بعد ذلك.

قال بوارو ذلك ثم انتصب بقامته القصيرة والتفت حول الغرفة دون أن يتحرك أو يلمس شيئًا ومع ذلك فقد شعر هؤلاء الشباب الذين وقفوا يرقبونه.. كانت كل أداة داخل الغرفة تبوح بأسرارها له خاصة إنه قوى الملاحظة.

وهز رأسه كعلامة رضا وتمتم قائلاً:

- تمامًا.

فسأله دونافان فى لهفة:

- أى شئ تقصد يا سيدى؟

- أقصد شيئًا تلاحظونه وهو أن الغرفة مكتظة بالأثاث.

فابتسم دونافان قائلاً:

- لهذا السبب تعثرت فى سيرى حتى كدت أرتطم مرات كثيرة على الأرض حيث إن كل شئ مختلف تمامًا عنه فى غرفة باتريشيا.

فقال بوارو:

- ليس هذا كل شئ.

فنظر إليه دونافان فى دهشة دون أن يتفوه حتى قال بوارو: أقصد إن هناك أشياء ثابتة راسخة لا تتغير مثل النوافذ والأبواب والمدافئ أيضاً فى تلك العمارات المتعددة الطوابق.. إنها دائماً فى نفس المكان فى جميع الطوابق.

فقالت ملدريد:

- لكن هذا أمر عادى وطبيعى.

فأجاب بوارو:

- أعرف ذلك لكن أردت أن أنبه صديقك إلى أهمية اختيار الألفاظ بدقة.

وسمعوا فى تلك الأثناء وقع أقدام كثيرة على درج السلم.. ثم فتح الباب وأقبل ثلاثة رجال.. أحدهم مفتش بوليس، والآخر شرطى بدرجة رقيب، بينما الثالث طبيب فى هيئة الشرطة.

وقد رأى المفتش بوارو وتذكره وصافحه باحترام وحياه.. ثم التفت ناحية الشبان الأربعة وقال:

- وددت أن أستمع إلى أقوالكم جميعًا ولكن ينبغى بداية أن..

فقاطعه بوارو قائلاً:

- فى ذهنى فكرة أرجو أن تفسح صدرك وعقلك وهى أن تعود إلى شقة هذه الآنسة حتى تتمكن من إتمام عمل بدأته وهو إعداد طبق من البيض على أن تنتهى أنت من عملك هنا ثم تتبعنا لكى تلقى علينا ما شئت من أسئلة.

فوافق المفتش على الفور.. وصعد بوارو ومعه الشبان الأربعة إلى شقة باتريشيا.

وفى داخل الشقة صاحت باتريشيا فى مرح:

- أنت رجل خفيف الظل يا مستر بوارو، ولهذا فسوف تتناول طبقًا من البيض لا مثيل له.

- أنا متأكد من ذلك يا آنسة فقد أحببت فى شبابى فتاة تشبهك إلى حد كبير لكنها كانت لا تجيد إعداد الطعام.

ومضى بوارو يسرد حكايته العاطفية فى صوت دافئ ذى شجن وكأنه عاشق ولهان حتى إنه استطاع بأسلوبه الرائع الجميل أن يغطى على أحداث الدم فى الطابق الثالث، وأقبلت باتريشيا بأطباق البيض وبعض الخضروات، وقد تناول الجميع الطعام بينما ظل بوارو يروى ذكرياته.

وما إن فرغوا من تناول العشاء حتى رن جرس الباب.

أما الذى رن جرس الباب فقد كان المفتش رايس بينما ظل طبيب البوليس ورقيب الشرطة فى شقة الطابق الثالث لحراسة القتيلة.

وتقدم رايس قائلاً موجهًا حديثه لبوراو:

- إن الأمر واضح تمامًا يا سيد بوارو.. وأظن أن الأمر لا يتطلب اهتمامك وجهدك لأننا سوف نكتشف القاتل، ولكن بعد مرور وقت من الزمن وإن كنت أود أن أعرف كيف تم اكتشاف الجريمة؟

وراح دونافان وجيمى يقصان الحكاية على مسامع المفتش رايس وأثناء ذلك نظر المفتش إلى باتريشيا قائلاً:

- لا يجب أن تهملى فى إغلاق باب مطبخك بالمزلاج يا آنسة.

فأجابت بعد أن شعرت برجفة هزت أصابعها:

- لن أفعل ذلك أبداً حتى لا يقتلنى أحدهم كما قتلوا تلك السيدة المسكينة.

فقال المفتش: ولكن القاتل لم يتسلل إليها من باب المطبخ.

فقال بوارو مقاطعاً: ليتك كشفت لنا غموض الحادث يا سيد رايس.

- أنت رجل خبير فى مجال البحث الجنائى يا بوارو فهل تتصور أن أكشف النقاب بسهولة أمام هؤلاء الشبان الأربعة؟

- لا أعتقد إن من بينهم من سيفشى ما ستبوح به إلينا.

- على العموم فإن الصحف والمجلات سوف تنشر تفاصيل الحادث آجلا أو عاجلا، والقضية لا يحيط بها الغموض كما تظن، فقد أكد لنا البواب أن القتيلة هى مسز جرانت حقاً، وهي فى الخامسة والثلاثين من العمر، وكانت

تجلس على المائدة حين باغتتها رصاصة انطلقت من مسدس صغير استقرت فى رأسها واغتالتها على الفور، ويبدو أن القاتل كان جالساً أمامها على المائدة، ولأن رأسها قد هوت على المائدة فقد تلوث غطاء المائدة بالدماء.

فقالت ملدريد: ولكن لماذا لم يسمع أحد صوت إطلاق الرصاصة؟

- لقد زود القاتل المسدس بكاتم صوت، ورغم ذلك هل سمع أحد صوت الخادمة وهى تصرخ فى هستريا حين أخبروها أن سيدتها قد ماتت مقتولة؟ كلا.. هذا بالطبع يعزز تفسيرنا السالف لماذا لم يسمع أحد صوت الطلق النارى؟

فقال بوارو: والخادمة.. هل لديها معلومات؟

- كانت فى إجازة هذا اليوم.. وقد عادت فى العاشرة ومعها مفتاح الشقة ولما لاحظت الهدوء يخيم على الشقة ظنت أن سيدتها قد خلدت إلى فراشها.

- وهل دخلت قاعة الاستقبال؟

- دخلت إليها حاملة حزمة من الخطابات لكنها لم تلاحظ شيئًا يدعو للريبة كما حدث بالضبط مع مستر توكز ومستر بايلى.. وهذا يعود لبراعة القاتل فى إخفاء الجثة خلف الستار.

- ولكن ألا يدعو تصرف القاتل هكذا للاستغراب؟

قال ذلك فى هدوء إلا إن المفتش نظر إليه متأملاً ما يقول حتى نهض واقفًا وهو يصيح:

- ربما فعل ذلك بغرض التخلص من الجريمة وأطلق ساقه للريح.

- ممكن وهذا احتمال وارد ولكن ماذا بعد؟

أثناء ذلك حضر الطبيب لمتابعة أقوال الشبان الأربعة واستطرد رايس يقول: إن الخادمة غادرت المنزل فى الساعة الخامسة والطبيب يؤكد أن الوفاة حدثت منذ حوالى أربع أو خمس ساعات.

أما الطبيب فقد كان كعادته قليل الكلام.. فاكتفى بأن هز رأسه إيجابًا بالموافقة.

- شكراً لك.

وأردف المفتش قائلاً:

- والساعة الآن هى الثانية إلا الربع.. وهذا يعنى أن الجريمة قد ارتكبها القاتل بين الساعة السادسة والسابعة ليلاً.

ثم أخرج من جيبه ورقة بسطها أمامه وقال:

- لقد عثرنا عليها فى جيب جثة القتيلة وبمقدورك أن تدقق النظر فيها.. فهى لا تحمل بصمات أحد.

تناول بوارو الورقة وكانت تتضمن حروفًا مطبوعة منزوعة من عدة صحف جاء فيها ما يلى:

«سوف أحضر لمقابلتك فى الساعة السابعة والنصف مساءً». ج- ف

قال بوارو وهو يناول المفتش الورقة:

- أليس غريبا أن يترك القاتل رسالة كهذه تكفى لإدانته؟

- يبدو أنه لا يعرف إنها فى جيبها، وربما اعتقد أنها تخلصت منها.. إن لدينا أدلة عديدة تؤكد أنه تحلى بالحذر الشديد.. لقد عثرنا على مسدس الجريمة تحت الجثة. وليست به أية بصمات فقد تخلص منها بمنديل حريرى.

- ولكن كيف عرفت إنه منديل حريرى؟

فأجاب المفتش فى ثقة:

- لأننا عثرنا عليه، وقد سقط منه أثناء قيامه بإسدال الستار على القتيلة.

قال ذلك وقدم لبوارو منديلاً حريريًا من النوع الممتاز، ولم يكن بوارو فى حاجة إلى من يجذب انتباهه إلى الاسم المطرز فى وسط قلب المنديل الكبير قرأ الاسم:

(جون فريزر)

فقال المفتش: نعم جون فريزر إنه صاحب الرسالة الموقع عليها بحرف ج - ف.. نحن نعرف الآن اسم الرجل الذى سنفتش عنه.. وأعتقد أننا سنصل للمزيد من المعلومات إذا اتصلنا بأصدقاء القتيلة أو أقاربها.

فهز رأسه وقال:

- كلا يا سيدى لا أعتقد أنكم ستعثرون عليه إن هذا الرجل غريب للغاية فهو بارع فى إزالة البصمات، ثم إنه تخلص من بصماته على المسدس ولم يبحث عن الرسالة التى تحمل توقيعه أو المنديل المطرز باسمه.

- ربما كان فى عجلة من أمره يا مسيو بوارو.

- جائز.. ولكن هل شاهده أحد حين دخل العمارة؟

فأجاب المفتش: إنها عمارة ضخمة تضم سكانًا كثيرين وأشك إن أعداد المترددين عليهم من أصدقائهم وأقاربهم لا حصر لها.

- هل رأيتم أحدهم يغادر شقة القتيلة؟

فهزت باتريشيا رأسها بالنفى وأجابت:

- لقد خرجنا فى وقت مبكر أظن الساعة السابعة.

واتجه المفتش ناحية الباب وصحبه بوارو قائلاً له:

- هل تريد أن تخدمنى يا مستر رايس؟

- طبعًا اطلب ما ترغب يا مسيو بوارو.

- أريد أن أفحص الشقة.

- لك ما أردت فأنا أعرف مدى امتنان الإدارة بدورك وعطائك الطويل، وهذا مفتاح للشقة ابحث بداخلها كيفما شئت، ولكنك لن تجد أحد أبدًا داخلها حيث إن الخادمة قد أطلقت ساقها للريح رعبًا وفزعًا.

- شكرًا لك.. شكرًا لك.

ومضى بوارو فى طريقه إلى الشقة وهو غارق فى التفكير.

فحدثه جيمى قائلاً: أشعر إنك متوتر يا بوارو.

- نعم لا أشعر بالارتياح.

فسأله دونافان: لماذا؟

فسكت بوارو دون أن يرد جوابًا ومضى غارقًا فى صمته ثم هز كتفيه قائلاً:

- أتمنى لكِ نومًا هادئًا يا آنسة باتريشيا فقد تكبدت مشقة إعداد الطعام.

فضحكت باتريشيا وقالت:

- إننى لم أطه لك سوى البيض فقط.. لقد حضر

دونافان وجيمى واصطحبانا إلى أحد المطاعم الصغيرة فى (سوهو) وقد تناولنا فيه طعام العشاء.

- ثم ذهبتم إلى أحد المسارح بعد ذلك؟

- نعم وشاهدنا مسرحية (عينا كارولين).

- لابد إن عين كارولين كانتا زرقاوين كعينيك تماماً.

فضحكت باتريشيا وصافحها بوارو وهو يحنى قامته تحية للمدريد التى احتجزتها باتريشيا للإقامة معها حتى لا تقضى الليلة وحدها.

وغادر الشابان مع بوارو.. وكادا أن يصافحاه للانصراف إلا إنه بادر قائلاً لهما:

- عرفتما أننى لا أشعر بالارتياح فهلا ظللتما معى لإجراء بعض الأبحاث والتجارب؟

فوافقا على الفور دون تردد أو تفكير.

وتقدم بوارو الشابين إلى الطابق الثالث، وفتح بوارو الشقة بالمفتاح الذى حصل عليه من المفتش رايس وظن الشابان أن بوارو سيقودهما إلى قاعة الاستقبال لكنه اتجه مباشرة إلى المطبخ على عكس ما هو متوقع.

وكان فى أحد أركان المطبخ صندوقاً خاص بجمع القمامة

فرفع بوارو غطاءه وراح يعبث بداخله فى همة ونشاط ككلب جائع بينما وقف جيمى ودونافان يرقبونه فى استغراب.

وفجأة هتف بوارو فقد أخرج من صندوق القمامة زجاجة صغيرة فتناولها منه دونافان ورفعها إلى أنفه ثم نزع السدادة وقربها مرة أخرى إلى أنفه قبل أن تصل إلى أذنيه صيحة التحذير التى أطلقها بوارو الأمر الذى أدى وقوعه على الأرض مغشياً عليه وفاقداً لوعيه.

فصاح بوارو:

- أوه ما أغابك يا دونافان من الذى طلب منك أن تفتح الزجاجة وترفعها إلى أنفك؟

ثم استدار ناحية جيمى قائلاً:

- هلا أحضرت زجاجة شراب باردة؟

وعاد جيمى بالزجاجة فتناولها بوارو وجثا على الأرض بركبتيه إلا إن دونافان قد استرد وعيه قبل أن يهم بوارو ويقترب منه.. ونهض دونافان وراح يرهف السمع إلى محاضرة قاسية من بوارو حذره فيها ألا يقترب من أى مواد ربما تكون سامة قاتلة.

علق دونافان بعد أن نهض واقفاً:

- أوه إننى أشعر بنوبة دوار. . وأجدر بى أن أعود إلى بيتى فوراً.

فقال بوارو: حسناً هذا أفضل لك.

ثم التفت ناحية جيمى وقال:

- انتظرنى لحظة يا جيمى فسوف أعود حالاً.

ورافق دونافان إلى الباب. . ثم إلى ما بعد الباب بقليل حيث دار بينهما حديث قصير وحين عاد مرة أخرى وجد جيمى واقفاً فى قاعة الاستقبال وعيناه تطوفان أرجاء القاعة فى دهشة واستغراب وحيرة.

* * * * * *

(٤)

نظر جيمى إلى بوارو وقال:

- ماذا ستفعل فى الخطوة القادمة يا بوارو؟

- لا شئ يا جيمى فقد انتهى الأمر.

- لا أفهم ماذا تقصد؟

- أقصد أننى عرفت الآن كل شئ.

فبدت علامة الدهشة والحيرة على وجه جيمى مرة أخرى وقال:

- لكنك لم تعثر على شئ هنا سوى تلك الزجاجة الصغيرة فهل هى مفتاح المعرفة للوصول إلى الجانى؟

- نعم هذا صحيح.

فهز جيمى رأسه إيجاباً وقال:

- الحقيقة إننى لا أفهم شيئاً منذ لحظة لاحظت أنك غير مرتاح عن البراهين التى استجمعها المفتش رايس ضد المدعو جون فريزر مهما كانت شخصيته. . ولكن الآن. . .

فقاطعه بوارو وقال:

- نعم إذا كان لجون فريزر وجود من الأساس.

- أوه إننى لا أفهم شيئًا ماذا تقصد؟

- اسمعنى جيداً يا جيمى.. إن اسم جون فريزر مجرد اسم مطرز على منديل حريرى فقط.

- وماذا عن الرسالة التى عثروا عليها بتوقيعه؟

- ألم تلاحظ إنها عبارة عن مجموعة حروف مطبوعة من بعض الصحف؟

- ولكن لماذا؟

- سأقول لك لماذا؟ إن خط اليد من السهولة كشف صاحبه والآلة الكاتبة يمكن الوصول إليها فى الحال فإذا كان هناك شخص اسمه جون فريزر وأراد أن يكتب رسالة للمرأة القتيلة فإنه فى الغالب لا يلجأ إلى هاتين الوسيلتين.. أقصد الكتابة بخط اليد أو بواسطة الآلة الكاتبة. إن القاتل قصد باستخدام الحروف المطبوعة لأنها ستعرقل وصولنا إليه، ولهذا تعمد أن يترك الرسالة فى جيب القتيلة لكى يقنعنا ويخدعنا بوجود شخص يدعى جون فريزر بينما الواقع يؤكد إن هذه الشخصية وهمية لا وجود لها.

فنظر إليه جيمى متسائلاً:

- ولكن أنا لا أفهم شيئًا من كل هذا؟

فقال بوارو فى ثقة محاولاً إقناع جيمى.

- إننى بدأت البحث من أول ملاحظة جذبت انتباهى.. ولعلك لاحظت قولى إن هناك فى العمارات الكبيرة أشياء متشابهة يصعب تغيرها.. فهذه الغرفة هى نفسها فى الطابق الأعلى والطابق السفلى، وذكرت ثلاثة أشياء بالتحديد وهى النوافذ والأبواب والمدافئ، وكان بمقدورى أن أذكر شيئًا رابعًا وهو مفاتيح الكهرباء لكن لم أشأ أن أذكر ذلك أمامكم.

ولكن ظلت ملامح الحيرة وعدم الفهم على وجه جيمى فاستطرد بوارو قائلاً:

- إن صديقك دونافان لم يقترب أبدًا من النافذة حيث كانت توجد الجثة وتلوثت يده بالدم لأنه وضعها على المائدة ومن هنا سألت نفسى.. لماذا وضع يده على المائدة؟ ثم عن أى شئ كان يبحث فى هذا الظلام الدامس؟ وهنا يجب أن تعرف يا صديقى إن مفتاح الإضاءة معروف فهو بجوار الباب شأنه شأن أى شقة فى تلك العمارة وأعنى شقة باتريشيا مثلاً.. فلماذا إذًا لم يهرول إلى باب الشقة لإضاءة النور وهذا هو الأسلوب المنطقى فى مثل هذه الحالات؟

ولقد أخبرك دونافان أنه أضاء نور المطبخ لكنه كان معطلاً

ولم يضئ ولكنى أضأت المصباح بصورة طبيعية فماذا يعنى ذلك؟

معناه أنه أراد ألا تكتشف إنكما فى شقة أخرى غير شقة باتريشيا.

قال جيمى: أوه مسيو بوارو إن رأسى يكاد ينفجر من فرط غبائى أخبرنى بربك إلى أى شئ تهدف بقولك هذا؟

- إننى أهدف إلى هذا...

وأخرج من جيبه مفتاح لوح به فصاح جيمى.

- أهذا هو مفتاح تلك الشقة؟

- كلا يا صديقى.. إنه مفتاح الآنسة باتريشيا الذى سرقه دونافان بايلى من حقيبتها فى أثناء سهركما معًا.

- ولكن لماذا؟ لماذا؟

- لكى يتمكن من فعل ما يريد وهو دخوله إلى هذه الشقة بطريقة لا تثير حوله الشبهات.. وقد مهد لذلك من قبل بأن رفع مزلاج المطبخ حتى يتمكن من الدخول بسهولة.

- وأين وجدت هذا المفتاح؟

فابتسم بوارو وأجاب:

وجدته طبعًا فى جيب مستر دونافان. هل رأيت تلك

الزجاجة الصغيرة التى زعمت إنها دليل إدانة؟ لقد كانت فخًا نصبته لدونافان، وقد فعل ما توقعته حيث قربها لأنفه، وقد كان بها مادة مخدرة وهى مادة الأيثيل كلوريد وهى سريعة المفعول وقد أفادتنى كثيراً وقد انتهزت غيابه عن الوعى ودسست يدى فى جيوبه حتى أعثر على هذا المفتاح وشئ آخر أيضًا وهو.

وتوقف بوارو عن الكلام ثم أردف:

- إننى رتبت فى منطقية السبب الذى برر به المفتش إخفاء الجثة وراء الستار. فقد قال المفتش: إن القاتل أراد أن يكسب بعض الوقت ولكننى اكتشفت إن السبب أهم من ذلك.. واتجه تفكيرى إلى البريد.. نعم إلى البريد.. إن بريد الليل يصل فى التاسعة والنصف فإذا تبين أن القاتل ارتكب جريمته وراح يبحث عن شئ معين ولم يعثر عليه وكان يبدو وأنه ينتظر وصول هذا الشئ بواسطة البريد.. فإنه كان ينبغى للقاتل أن يعود مرة أخرى للبحث عن ضالته. ولكى يعود مرة أخرى كان يجب ألا تكتشف الخادمة الجريمة وإلا داهم البوليس الشقة وأصبحت عودة القاتل إليها ضربًا من ضروب المستحيل. من هنا أخفى القاتل الجثة وراء الستار والخادمة لم تشك فى أى شئ وكعادتها راحت تضع الرسائل على المائدة.

- الرسائل؟

- نعم الرسائل.

وأخرج بوارو من جيبه مظروفًا كبير الحجم وأردف قائلاً:

- هذا هو الشئ الآخر الذى أخذته من مستر دونافان حيث سقط مغشيًا عليه.

ووضع المظروف أمام جيمى فقرأ عليه أسم (مسز أرنستين جرانت) مكتوبًا بالآلة الكاتبة.

واستطرد بوارو: قبل أن نرى ما فى داخل هذا المظروف يا مستر جيمى أود أن أسألك.. هل تحب الآنسة باتريشيا؟

- نعم أحبها من صميم القلب لكنى أظن أنها لا تبادلنى هذا الحب.

- أظننت أنها تحب مستر دونافان؟

- نعم وهذا هو ما ألاحظه.

- كلا.. إنها بدأت تميل إليه فقط لكنك تستطيع أن تجعلها تنساه وتقشطه من ذاكرتها على أن تقف معها فى أزمتها.

فصاح جيمى فى خوف:

- أزمتها؟ ماذا تقصد؟

- أقصد تلك المتاعب التى ستواجهها.. سوف نبذل ما فى وسعنا لإخفاء اسمها.. ولكن قد نفشل فى ذلك لأنها ببساطة سبب الجريمة.

قال ذلك وقد أخرج من المظروف خطابًا ووثيقة أما الخطاب فقد كان من أحد المحامين وقد ورد به ما يلى:

سيدتى العزيزة:

إن الوثيقة المرفقة بهذا والتى بعثت إلينا هى وثيقة قانونية سليمة ولا يؤثر على سلامتها وصحتها بأية حال من الأحوال أن يكون الزواج قد عقد فى بلد أجنبى.

مع وافر الاحترام

أما الوثيقة فقد كانت وثيقة زواج دونافان من أرنستين جرانت منذ ثمانية أعوام مضت.

صاح جيمى:

- لقد ذكرت باتريشيا.. أنها تسلمت رسالة من هذه السيدة تطلب فيها مقابلتها ولم يخطر لباتريشيا أن الأمر يتعلق بهذه الوثيقة.

فقال بوارو:

- ولهذا فقد علم دونافان بشأن هذه الرسالة فذهب ليلاً

لمقابلة زوجته قبل صعوده إلى شقة باتريشيا والغريب أن الزوجة تستأجر شقة فى نفس عقار غريمتها.

وبعد أن قتل زوجته ذهب لقضاء السهرة معكم كان شيئًا لم يكن ولابد أن زوجته قد أخبرته أنها أرسلت وثيقة الزواج إلى المحامى وإنها فى انتظار الرد. ويبدو أنه حاول إقناعها بأن زواجها منه باطل ولكن دون جدوى.

- لكنه كان مرحًا طوال الليل معنا.. ولكن لماذا تركته يفلت منك يا مسيو بوارو؟

- تأكد يا جيمى إنه سيسقط فى يدنا.

- إن باتريشيا تهمنى.. هل تتوقع أننى سأنجح معها؟

- هذا يعود لقدرتك فينبغى أن تبذل جهدك لاجتذابها إليك وأن تساعدها على نسيان هذا الأمر وهذا لا يتطلب مجهودًا شاقًا.

«الدعابة الثقيلة»

(١)

كانت جين هالير تقوم بمهمة التعريف فقالت لضيفيها:

- هذه هى مس ماربل.

لقد كانت ممثلة بارعة وقديرة وقد نطقت بتلك العبارة الأخيرة بصوت ممزوج بالاحترام والكبرياء.

والغريب إن الإنسانة التى قدمتها جين هالير بهذا الأسلوب لم تكن سوى امرأة هادئة شاخت فى العمر ومن أولئك الفتيات اللاتى فاتهن سن الزواج منذ عقود.

وأما الضيفان اللذان قامت جين هايلر بتقديم مس ماربل إليهما فقد ظهرت عليهما ملامح الدهشة كأنهما غير مصدقين.

كانا شابين ظريفين للغاية.. الأولى فتاة نحيفة وجميلة تسمى شارميان ستراود، والآخر شاب عملاق فى أوج قوته ذو شعر أشقر لكنه هادئ الطباع ويدعى إدوارد روستير، هتفت شارميان قائلة:

- إننى فى غاية السعادة لوجودك معنا يا مس ماربل.

ولكن الشك كان يتدفق من عينيها حين نظرت بسرعة إلى جين هالير، وقد أدركت جين معانى تلك النظرة وقالت:

- إنها أكثر من رائعة يا عزيزتى شارميان فاتركى الأمر لها لقد وعدتك بأن أقدمك إليها وها أنا قد وفيت بهذا الوعد.

- إنك ستتخلصين من مشكلتك بسهولة.. أليس هذا صحيحًا؟

فالتفتت مس ماربل بعينيها الزرقاوين ناحية إدوارد روستير وقالت:

- ما هو الموضوع؟

فقالت شارميان بسرعة وبضيق صدر:

- إن جين صديقتنا وهى تعرف أننى وإدوارد نتعرض لمشكلة فأخبرتنا إننا إذا حضرنا حفلتها، فإنها ستقدمنا إلى شخص.. بمقدوره..

فأسرع إدوارد لمساعدتها قائلاً:

- قالت لنا جين إنك بارعة فى حل المشكلات المعقدة.

فلمعت عين مس ماربل امتنانًا وفخرًا وإعجابًا بنفسها ولكنها قالت فى تواضع: أوه لقد بالغت كثيراً فى قدراتى..

غاية ما فى الأمر أننى أقطن الريف، والشخص الذى يمضى حياته فى الريف يتمكن من اكتشاف الكثير من طبائع وسلوك البشر ولكنكما نجحتما فى إثارة فضولى فما هى مشكلتكما؟

فقال إدوارد: إنها القصة الشائعة.. عن كنز مفقود ومخبأ.

- أحقا؟ إن هذا أمر مثير للغاية.

- نعم إن حكايات الكنز المخبأ تثير دائمًا الفضول.. ولكن فى الواقع قصتنا تختلف عن تلك التى ترامت لسمعك.. فهى تفتقد الواقع كما تحتاج الخرائط إرشادية تشير إلى مكانه أو إرشادات كالتى تقول أربع خطوات إلى الأمام وثلاث خطوات إلى اليمين فإن كل ما نعرفه عن الكنز هو المكان المخبأ فيه.

- ولماذا لم تحاولا؟

- لقد حفرنا حفرتين دون جدوى.

فقالت شارميان: لن نبدد وقتك فى رواية القصة من البداية.

- طبعًا طبعًا.. يا عزيزتى.

- إذن لماذا لا نذهب إلى أحد الأماكن الهادئة؟ هيا يا إدوارد.

واجتازت قاعة مخصصه للمدخنين، وصعدت بهم إلى الطابق الثانى، ودخلوا حجرة صغيرة، واستوى كل منهم على مقعد وقد قالت شارميان:

- إن القصة تبدأ بالعم ماتيو.. وهو فى الواقع عم جدى لأبى وعم جد إدوارد لأمه، ولم يكن له أقارب سوانا فاغدق علينا وأحبنا كثيراً، وأخبرنا أن كل ثروته ستؤول إلينا بعد وفاته.. وقد توفى فى شهر مارس الماضى وأوصى بأن توزع تركته مناصفة بيننا أنا وإدوارد. أتمنى ألا تظنين أننا كنا نتطلع لموته.. لأننا كنا نحبه بإخلاص شديد، وقد كان عجوزاً طاعناً فى السن والمرض قد تغلب عليه فى الفترة الأخيرة. والمهم هو أن التركة التى أوصى بأن توزع بيننا كانت لا شئ وهذا فى الواقع قد أصابنا بصدمة شديدة.. أليس هذا صحيحاً يا إدوارد؟

فهز إدوارد رأسه بالإيجاب وقال:

- حقيقة الأمر أننا كنا نعتمد على هذه التركة.. والإنسان حين ينتظر مبلغاً هائلاً كهذا لا يبذل جهداً للكسب من عرق يده إننى مجند فى الجيش.. ولا أملك سوى راتبى وكذلك شارميان إنها تعمل فى إدارة أحد المسارح الصغيرة.. وهى

تتلذذ بأداء عملها ولكن راتبها ضئيل، وقد كنا نفكر فى الزواج دون أن نعبأ بالمال لأننا كنا نعلم أن الثروة كلها ستؤول إلينا.

فقالت شارميان: إن أحلامنا فى الثراء تتبخر دائماً.. والأبشع أننا إذا لم نعثر على تلك الثروة فسوف نبيع بيت العائلة لمواجهة الحياة وسوف نبكى كثيراً من أجله لأنه بيت عريق ضم أجدادنا جميعاً.

فقال إدوارد: إننا لم نصل بعد فى حديثنا عن أهم شئ فى هذا الموضوع يا شارميان.

- حسنا ليتك تكلمت أنت يا إدوارد.

فالتفت إدوارد إلى مس ماربل قائلاً:

- حين افترس المرض العم ماتيو ساورته الظنون وتملكته الشكوك وأصبح لا يثق فى أحد.

فعلقت مس ماربل: هذا صحيح فإن آثام الناس لا حدود لها.

- نعم.. وكان هذا هو رأيه أيضاً.. والسبب فى ذلك أن أحد أصدقائه أضاع ثروته لأنه أودعها فى أحد البنوك، وقد تعرض البنك للإفلاس، وصديقاً آخر نصب عليه محاميه

واستولى على ثروته ولاذ هارباً، وثالث بددها فى شراء أسهم من شركة وهمية.

أما العم ما تيو فقد رأى إن سبائك الذهب هى أفضل ضمان للحفاظ على ثروته ودفنها فى مكان ما.

- آه. . من هنا بدأت أستوعب الأمر. لقد تمكن أصدقاؤه من إقناعه بخطأ رايه لأن تحويل المال إلى سبائك ذهبية ودفنها سوف يفقده فوائد هذا المال. إلا إنه أصر على موقفه زاعماً أن فوائد البنك لا تعنيه فى أى شئ إنما كان كل ما يهدف إليه هو الحفاظ على رأس المال. . وإن أفضل وسيلة هى تحويل المال إلى سبائك ذهبية يتم وضعها تحت شجرة أو صندوق تحت سرير نومه. وهذه كانت كلماته بالنص.

واستطردت شارميان الحديث فقالت:

- وحين مات لم نعثر على أى شئ من ثروته ولم نجدها تحت شجرة أو تحت سرير نومه.

وقال إدوارد: لقد اكتشفنا أنه باع عدداً لا بأس به من السندات كما قام بسحب مبالغ طائلة من البنوك وإن كنا لا ندرى ماذا فعل بكل هذه الأموال إلا إذا كان قد اشترى بها سبائك ذهبية وأخفاها.

- هل أخبركما بشئ قبل وفاته؟ هل ترك ورقة أو رسالة؟

- هذا هو ما يدعو للدهشة فلم يترك لنا شيئاً حيث راح فى غيبوبة لازمته عدة أيام لكنه استرد وعيه قبل وفاته فنظر إلينا ضاحكاً وهو يقول:

«سيكون كل شئ على ما يرام يا أعزائى».

ثم أشار إلى عينه اليمين. . وغمز بها ثم مات.

- تقول إنه أشار إلى عينه اليمين؟

فأجاب إدوارد: وهل فى ذلك ما يلفت النظر؟ إن إشارته بعينه ذكرتنى برواية لأرسين لوبين قام فيها أحد الأشخاص بإخفاء وثيقة هامة فى عينيه الزجاجية ولكن العم ماتيو لم تكن له عين زجاجية.

فهزت مس ماربل رأسها وقالت:

- كلا. . أنا غير متأكدة من أن حركة عينيه لها أهمية.

استبد اليأس بشارميان وقالت فى أسى:

- إن جين أخبرتنا أنك سترشيدنا إلى مكان الكنز فى الحال.

فابتسمت مس ماربل وقالت:

- إننى لست ساحرة أو دجالة. . ثم إننى لم يسبق لى

رؤية عمك أو درست شخصيته ثم إننى لا أعرف بيتك أو حديقتك.

فصاحت شارميان: بسيطة يمكننا اصطحابك إلى هناك.

- هذا قد يسهل من مهمتى.

- إذن تعالى لرؤية الموقع على الطبيعة.

وافقت مس ماربل فى الحال وقالت:

- هذا كرم بالغ منك.. إننى كنت أتلهف دائمًا على البحث عن كنز مخبأ.

* * * * *

(٢)

قالت شارميان فى يأس لمس ماربل:

- هل شاهدت كل شئ؟

كانت مس ماربل قد طافت أنحاء البيت وأرجاء الحديقة وقد شاهدت العديد من الحفر التى تشبة خنادق الحروب كما تفقدت قطع الأثاث القديمة التى ربما يكون بها أدراج أو مخابئ سرية.. واستقر بها الأمر فى قاعة المكتب حيث وجدت مائدة كبيرة عليها كومة هائلة من الأوراق التى تركها العم ما تيو.

لم يكن إدوارد وشارميان قد أحرقا كل هذه الأوراق وكانا يتفحصانها من وقت لآخر لعلهم يكتشفون بين سطورها ما يرشدهما على مكان الكنز المخبأ.

وأخيراً قالت شارميان لمس ماربل:

- هل لديك فكرة لم تخطر لنا؟

نفت مس ماربل وقالت:

- إنكم تذكرونى بخادمة نشيطة كانت تعمل لدى إحدى صديقاتى فقد كانت توصى على تلميع أرض الغرف بعناية

فائقة وبلغ نشاطها ذات مرة أرض الحمام حتى إنها أجهدت نفسها فى تلميعها وكانت النتيجة أن انزلقت قدم مسز ايلدريتنش عقب خروجها من البانيو، فسقطت وانكسر ساقها وتوقفت عن الحركة.. وكان الحمام فى ذلك الوقت مغلقًا فأحضر البستانى سلمًا وتسلل عن طريق النافذة فوجدت السيدة نفسها فى موقف شديد السوء وهى إنسانة مؤدبة شديدة الحياء.

فابتسمت شارميان بينما شعر إدوارد بالخجل.

واستطردت مس ماربل بسرعة:

- عفواً إن من أبرز عيوبى تغيير دفة الحديث.. على أية حال علينا أن نبذل ما فى وسعنا لكى نصل إلى هدفنا.

- لقد فكرنا كثيراً حتى استبد بنا اليأس والآن جاء دورك.

- طبعًا.. ولكن هل يمكن أن ألقى نظرة على الأوراق؟

- افعلى ما يحلو لك.

وراحت تفحص كومة الأوراق الموضوعة على المائدة وحين انتهت من فحصها وضعت رأسها بين يديها وتاهت بين أفكارها.

وأخيراً سألها إدوارد:

- هل عثرت على شئ هام؟

- كلا.. لم أعثر على شئ ولكننى عرفت شخصية العم ماتيو.. فهو يشبه عمى هنرى أى إنه كان عازبًا ومحبًا للمرح والفكاهة.

شعرت شارميان بالسذاجة من هذا التفسير وقد تبادلت نظرات الاشمئزاز مع إدوارد.

وأردفت مس ماربل تقول:

- كان العم هنرى عاشقًا للكلمات الفجة والألفاظ الجارحة.. وكان يرتاب فى كل الناس ويظن أن الخدم يسرقونه وفى أيامه الأخيرة ظن واهمًا أنهم يدسون له السم فى الطعام فامتنع عن تناول أى شئ إلا البيض.. وكان يقول لا أحد يمكنه دس السم فى البيضة المسلوقة.. كان هنرى مسكينًا فقد أحب تناول القهوة بعد الطعام.. فإذا صرخ إنها قهوة عربية جيدة كان يعنى ذلك أنه يريد فنجانًا آخر.

وكاد إدوارد ينفجر غيظًا إذا استمرت مس ماربل فى الحديث عن عمها هنرى إلا أن مس ماربل لم تمل كعادتها من ذلك. فاستطردت: كان يحب الأطفال ولا يمل من مشاغبتهم وكان يحضر الحلوى ويضعها فى مكان مرتفع لمعاكستهم.

وضاقت شارميان ذرعاً بهذا الحديث فقالت فى غباء:

- يبدو أنه كان جلفًا.

- كلا يا عزيزتى لقد كان لطيفًا ولأنه عازب فقد عشق الأطفال وإن كان جاهلاً بحسن معاملتهم. . كان يحتفظ فى بيته بأموال طائلة وقد اشترى خزانة حديدية وقد صدع رؤوسنا بالحديث عن صلابتها ومتانتها. . لأنه كان يتحدث عنها كثيراً فقد تسلل أحد اللصوص وثقب الخزانة بمادة كيماوية.

- هذا ما يستحقه على الأقل.

- لكنهم لم يعثروا على أى شئ فيها لأنه كان قد وضع النقود فى مكان آخر. . فقد وضعها فى المكتب خلف الكتب المقدسة. وقال إن أحداً لا يقرأ تلك الكتب.

فصاح إدوراد:

- أوه يا لها من فكرة رائعة ما هو رأيك فى المكتبة يا شارميان؟

هزت شارميان رأسها وقالت:

- لم أنتظر تلك الفكرة. . لقد فتشت فى كتبها صفحة صفحة دون جدوى.

ضاق صدر إدوارد وقال بعد أن شعر بالملل من مس ماربل:

- إننى أسف لضياع وقتك يا مس ماربل والآن هلا جئت معى فى السيارة لكى تلحقى بقطار الثالثة والنصف.

فصاحت مس ماربل: ولكن ينبغى أن نجد النقود أولاً. . لماذا تشعر باليأس يا مستر إدوارد؟ إذا نحن فشلنا مرة فلنحاول مرة أخرى.

- أوه هل تقصدين أنك ستحاولين ثانية؟

- أنا لم أحاول من قبل حتى أبدأ مرة ثانية. . ولكنى فهمت أن العم ماتيو كان طيب القلب وسليم النوايا ومثل هذا الرجل إذا أراد إخفاء ثروته فلن يلجأ إلى الأساليب المعقدة الماكرة.

فقال إدوارد:

- إن سبائك الذهب تحتاج إلى مساحة كبيرة.

- ولكن لا يوجد دليل على أنه حولها إلى سبائك ذهبية.

- إنه تحدث معى عن ذلك.

- كان عمى هنرى يتحدث عن خزانته وكان يهدف إلى خداعنا لنفرض أن العم ماتيو اشترى بثروته كمية من الماس أفلا يمكن إخفاء هذا الماس فى درج سرى؟

- لقد بحثنا فى جميع الأدراج السرية دون جدوى.

- وهل فحصتم مكتبه؟

- نعم وفيه درج سرى ولم نعثر على أي شئ فيه.

- أين هو؟

واتجهت إلى المكتب وفتحت أحد الأدراج وضغطت على ذر فتحرك جزء من قاع الدرج وكشف عن مخبأ سرى صغير.

فصاحت مس ماربل:

- إنها مصادفة عجيبة.. لقد كان لعمى هنرى مكتب كهذا.. والفارق الوحيد إن مكتب عمى من خشب الورد وهذا من الزان.

فقالت شارميان:

- لكننا لم نعثر على شئ فى هذا المكتب وقد كان معنا نجار ماهر؟

- إن هذا النجار قليل الخبرة لا يدرك حيل النجارين القدامى وإجادتهم فى صنع المخابئ الخفية.. إنهم كانوا يصنعون مخابئ سرية داخل المخابئ الخفية.

قالت ذلك بعد انتزعت (بنسه) من رأسها ودست طرفها فى ثقب صغير فى جدار المخبأ السرى فتحركت قطعة أخرى من الخشب فكشفت عن مخبأ آخر بداخله حزمة من الرسائل القديمة.

مدت شارميان يدها وتناولت الأوراق وفضتها وقرأت ما بها وقالت: أوه إنها رسائل غرامية.

فصاحت مس ماربل:

- أوه إذن سنعرف السر وراء إحجام العم ماتيو عن الزواج؟

وقرأت شارميان الرسالة بصوت مسموع.

عزيزى ماتيو:

يجب أن أعترف بأننى تسلمت رسالتك الأخيرة منذ مدة طويلة ولكن شغلت عن الرد بالمهام الكثيرة الملقاة على كاهلى وكثيراً ما قلت لنفسى إننى محظوظة إذا أتيحت الفرصة للطواف حول الكرة الأرضية.

إننى لم أتصور أبداً يوم سافرت إلى أمريكا أننى سأزور يوماً جزيرة نائية كهذه الجزيرة.

توقفت شارميان عن القراءة وقالت:

- من أين بعثت هذه الرسالة؟

- آه إنها من هاواى.

وأردفت تقرأ الرسالة.

إن الناس هنا مازالوا يعيشون فى جهل شديد.. إنهم

يمشون عراه يقضون أوقاتهم فى الرقص والسباحة وتزيين أجسادهم بالورود ومستر جراى وزوجته يبذلان جهدهما لهداية أهل الجزيرة دون جدوى.

إن خطابك الأخير قد أطربنى كثيراً يا عزيزى ماتيو وأود أن أقول لك إنك دائماً فى قلب حبيبتك المخلصة الوفية.

بيتى مارتن

صاح إدوارد قائلاً: أوه قصة عاطفية مع سيدة تعمل مع إناس مبشرين، لماذا لم يتزوجها؟

فقالت شارميان: يبدو أنها طافت جميع أنحاء الدنيا.. ومن يدرى ربما ماتت بالحمى الصفراء أو بوباء آخر.

فابتسمت مس ماربل وقالت: لا داعى لتهويل الأمور يا عزيزتى لقد كان العم ماتيو بسيطاً عاشقاً للمزاح.

- ماذا تقصدين يا مس ماربل؟

- أقصد أن ثروة عمك الآن بين يديك.

صاح إدوارد: أين هى؟ أين هى؟

- إن اسم الحبيبة (بيتى مارتن) هو مفتاح اللغز ألم تخبرينى أن عمك أشار بعينيه غامزاً قبل وفاته؟ إن هناك أغنية قديمة تقول: عينى فداء لبيت مارتن وبيتى مارتى.. هذا هو

اسم الحبيبة. وإذا أنت أمعنت النظر تبين لك إنه ليست هناك حبيبة أو قصة حب فالعم ماتيو هو الذى كتب الرسالة حيث إن أغلفة الرسالة تبعد عن زماننا بنحو مائة عام.. إن خاتم البريد على الأغلفة عليه تاريخ ١٨٥١ وهذا يفسر كل شئ.

فقال إدوارد: ما زلت لا أفهم.

- لو كنت مكانك لما فهمت شيئاً ولكن من حسن الطالع إن ليونل الصغير ابن أخى من هواة جمع الطوابع وهو عليم ببواطن أمورها وقد أخبرنى ذات مرة إن الطابع الأزرق من فئة ٢ بنس يعود تاريخه إلى عام ١٨٥١ وقد بيع فى المزاد العلنى بمبلغ ٢٥ ألف جنيه. وإذا أمعنت النظر فى طابع البريد الملصق على غلاف الرسالة التى تلوتها علينا لوجدت إن لونه أزرق من فئة ٢ بنس ويعود تاريخه إلى عام ١٨٥١.

فأغمض إدوارد عينه قائلاً: أوه رباه.

فصاحت شارميان: ماذا دهاك يا إدوارد؟

- لا شئ.. كنت أفكر فى أن أحرق هذه الرسائل.

- قالت مس ماربل: والآن هل عرفت أين توجد ثروة عمك؟ إنها تحولت إلى طوابع بريد قديمة عظيمة الشأن ولم تتحول إلى سبائك ذهبية.

فقال إدوارد :

مس ماريل . . إننى سأحضر زجاجة شراب لنحتسى معًا لعثورنا على ثروة العم ماتيو .

* * * * *

AGATHA CHRISTIE



